مرتكزات الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي

أعدها ابن الأرض المقدسة
جهاد جميل العايش آل عجلان





هيئة الأرض المقدسة

مرتكزات الاستراتيجية النبوية
في مواجهة المشروع اليهودي



هيئة الأرض المقدسة

رؤية واعية... لأرض واعدة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

حسابات هيئة الأرض المقدسة على وسائل التواصل الاجتماعي

holylandd48

holyland_48

+905318366657

holyland_48

pholyland.com

holy0land@gmail.com

هيئة الأرض المقدسة

مرتكزات الاستراتيجية النبوية
في مواجهة المشروع اليهودي

تأليف

جهاد جميل العايش آل عمادات

ابن الأرض المقدسة

هيئة الأرض المقدسة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي ظلال تاريخنا الإسلامي المشرق تبرز سيرة نبينا محمد ﷺ في صفحات خالدة مضيئة بالحكمة السياسية الشرعية، والعمق الحضاري الإنساني، ويتجلى فيها كيف واجه بوحي النبوة وحكمة القيادة تحديات التعددية الدينية والاجتماعية في مجتمع المدينة المنورة.

ويأتي هذا البحث الموجز ليستعرض - بالنظر المحقق، والسرد المختصر - مواقف النبي ﷺ مع اليهود؛ وكيف وضع الأسس الكفيلة بحماية الدولة الإسلامية الناشئة في ظل التعايش المشروط بالحكمة والعدالة والإنصاف في الحقوق والواجبات، وكيف صاغ ميثاق المدينة ليكون أول عقد وطني جامع يكفل للجميع الأمان والحرية، ويؤسس لوطن واحد رغم اختلاف المشارب والمعتقدات.

ويرسم هذا الكتاب لوحة بانورامية لتقلبات العلاقة بين النبي ﷺ ومكونات المجتمع اليهودي: من الحوار والدعوة بالحكمة، إلى توقيع المعاهدات الضامنة لحقوق الطرفين، إلى المواقف الحازمة عند نقض اليهود لمواثيقهم، بما يهدد استقرار الجماعة المسلمة آنذاك.

ويُبرز هذا الكتاب كيف بقيت الرحمة أصلًا والتسامح شعارًا حتى مع اشتداد العداوة، ليظل الوفاء بالعهد ميثاقًا راسخًا ما لم يُقطع بسيف الخيانة، ويؤكد على رقي الدعوة الإسلامية، والبعد الحضاري فيها.

ويعدُّ الكتاب رحلة فكرية وتاريخية عبر أروقة السيرة النبوية؛ يجمع بين التحليل الوثائقي والتفسير المعاصر؛ ليستخلص القارئ دروسًا في فقه التعايش، وحسن إدارة التنوع، وصيانة الوحدة الوطنية في وجه أطماع الخارج ومكايد الداخل؛ ليقودنا إلى قناعة راسخة بأن منهجية تعامل النبي ﷺ مع الآخر إنما هو مدرسة حضارية خالدة لكل زمان ومكان، ويؤكد في الوقت ذاته على طبيعة اليهود القائمة على المكر والخديعة، ونقض العهود، والتحريش بين المسلمين، ومما لأة الكافرين والظالمين على مر العصور، ولعل فيما يحدث لأهلنا في فلسطين الآن – وغزَّة على وجه الخصوص– ما يؤيد ذلك.

وقد قصدت بهذا الكتاب أن أطلق صيحة نذير لكل من يدعو إلى التطبيع مع اليهود، تحت ذريعة السلام، دون نظر إلى خطورة الأمر، ودون تدبر في عواقبه، وركزت على الجوانب الاستراتيجية والضوابط الشرعية في التعامل معهم.

وحرصت في هذا الكتاب أن يكون الأسلوب سهلًا مفهومًا لكل أحد؛ فالعبرة في إيصال الفكرة، والاعتماد على صحيح الأحاديث والآثار النبوية، مع ربط تلك الأحداث التاريخية والغزوات ببعدها الاستراتيجي مع استخلاص أهم النتائج والحقائق التي تخدم عنوان الكتاب ورسالته.

ولا يسعني في هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لكل من راجع الكتاب وأضاف إليه، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم.

كتبه

جهاد جميل العايش آل عمارة

طبيعة المشروع اليهودي عبر التاريخ

إن البحث في مجال الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي يعدُّ من الأبحاث الجوهرية التي تكشف عن حكمة الرسول ﷺ القيادية، وعن المنهج الرباني في التعامل مع هذا المشروع العدائي القديم المتجدد، وسنعرض من خلال هذا البحث لأبرز محطات السيرة النبوية مع اليهود، ولا سيما في العهد النبوي، وذلك وفق تسلسل منطقي، مستندين في ذلك إلى الأدلة من الكتاب والسنة والصحيح من التاريخ والأثر.

وللحقيقة والتاريخ فإن المشروع اليهودي -كما هو مبيَّن في القرآن والسنة والتاريخ- ليس مجرد عداء عرقي أو ديني عابر، بل هو «مشروع عقائدي» يستند إلى ادعاءات مختلقة مثل «شعب الله المختار» و«أرض الميعاد» التي تشمل معظم منطقة الشرق الإسلامي، واللافت في هذا المشروع أنه يقوم على الاستعلاء العنصري: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، وعلى التحريف والكذب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩]، وعلى النظرة الإفسادية من أجل تحقيق التمكين والهيمنة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١-١٢].

الأسس العقدية والفكرية للاستراتيجية النبوية:

قبل أي مواجهة عسكرية أو سياسية وضع الرسولُ ﷺ الأسسَ الفكريةَ والعقائديةَ التي تمثِّل حائط الصد الأول ضد المشروع اليهودي، وذلك من خلال تقرير حقيقة الدين

والوحي؛ من أجل إقامة الدولة الإسلامية على أساس التوحيد الخالص، وتحرير العقول من الخرافات والأساطير التي تروجها اليهودية المحرفة، إضافة إلى كشف حقيقتهم للرأي العام؛ فقد كشف القرآن الكريم توجهاتهم الحقيقية إزاء المسلمين والعالم أجمع، وتناولت آيات القرآن تاريخهم، ومؤامراتهم، وأخلاقهم، ونقضت وفنَّدت ادعاءاتهم بشكل مفصل كما في سور البقرة، وآل عمران، والمائدة، والحشر.

الاستراتيجية بين المصطلح والمفهوم:

تتعدد مفاهيم مصطلح (الاستراتيجية)، لكنها تتفق جميعًا في كونها تقوم على التدبير الحكيم والمنهجي لإدارة الحياة بناءً على معايير علمية وموضوعية دقيقة، ورؤية فكرية تهدف إلى حسن التنظيم والتخطيط مع الاستفادة من تراكم الخبرات والتاريخ؛ في حين يقصد بالاستراتيجية الإسلامية- بأبسط عبارة- اتباع «الصراط المستقيم» في تحقيق الأهداف؛ بمعنى تنفيذ الخطط والرؤى بطريقة تحترم وتستند إلى تعاليم الإسلام وقِيَمِه، ولا تتحرك إلا وفق ما يرضي الله تعالى من تنظيم وتوجيه، وهذا ما يميزها عن المفاهيم الأخرى التي قد تكون مجرد تخطيط مادي أو تكتيكي فقط.

الإطار المفاهيمي:

كما ذكرنا فإن **الاستراتيجية النبوية** يمكن أن تعني بأبسط عبارة تلك الخطة الجامعة والتدابير طويلة المدى التي وضعها النبي ﷺ من أجل إدارة الدولة الإسلامية الناشئة، وتحقيق الأهداف العليا، مع مراعاة طبيعة المرحلة وقد شملت الدعوة، والسياسة، والاقتصاد، والعلاقات مع الخصوم؛ بهدف ترسيخ الإسلام وبناء مجتمع المدينة وحماية المسلمين ومَن كانوا في كنفهم.

المشروع اليهودي:

نقصد به الدور السياسي والاقتصادي والأمني وربما العسكري لليهود في المدينة وخيبر وما حولهما، وسعي بعض قبائلهم للحفاظ على نفوذهم، أحيانًا عبر التحالفات والخيانة، وأحيانًا أخرى بالحياد السلبي أو التعاون الحذر.

منهج متكامل:

وقد جاء الإسلام برسالة شاملة تهدف إلى بناء الإنسان عقيدةً وسلوكًا، وبناء المجتمع على أساس الإيمان والعدل والتكافل، وقد مارس النبي ﷺ دورًا استراتيجيًّا نموذجيًّا في إعداد الأفراد المتميزين الذين شكَّلوا نواة المجتمع الإسلامي الأول، وقد اعتمد في بناء الفرد والمجتمع على عدة استراتيجيات مُحكمة تجمع بين الجانب الإيماني، والقيمي، والإداري، ومن تلك الاستراتيجيات ما يلي:

١ ترسيخ العقيدة والإيمان:

حيث جعل النبيُّ ﷺ الإيمانَ بالله أساسَ كل بناء؛ فكان يربي أصحابه على التوحيد، ويغرس في قلوبهم اليقين بالآخرة، بما يولِّد فيهم القوة الداخلية لمواجهة التحديات.

٢ القدوة العملية:

حيث اعتمد النبي ﷺ على أسلوب القدوة؛ فكان يترجم القيم إلى سلوك، فيرى الصحابة الدين حيًّا أمام أعينهم؛ وذلك كما قالت زوجه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان خُلُقه القرآن»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

٣ التكليف التدريجي:

فالرسول ﷺ لم يُحمِّل الصحابة جميع التشريعات دفعة واحدة؛ بل جاءت الأحكام والواجبات تدريجيًّا؛ لتتلاءم مع قدرتهم على الالتزام، واستيعاب مراد الشارع الكريم من هذا التكليف.

٤ تحفيز المبادرة وتحمل المسؤولية:

فقد منح الرسولُ ﷺ أصحابَه الثقةَ، ودعاهم للمشاركة الفاعلة في الدعوة والدفاع عن الدين، الأمر الذي نمَّى فيهم روح القيادة والاعتماد على النفس.

٥ التخطيط والتوجيه الحكيم:

حيث كان النبي ﷺ يخطط لكل خطوة بحكمة وبُعد نظر، كما في التخطيط للهجرة النبوية، واختيار الصحبة المناسبة للحفاظ على الدعوة والمنهج؛ كما درس مواقع الغزوات، ووضع الخطط العسكرية التكتيكية التي حققت النصر رغم قلة العدد والعدة؛ ولم يستغن في ذلك عن مشورة أصحابه رضوان الله عليهم جميعًا.

٦ التربية والاهتمام بالبناء الإيماني والنفسي:

حيث ركز النبي ﷺ على بناء عقيدة التوحيد في النفوس، وعلى تربية الأفراد على تقوى الله تعالى، وتحمُّل الصعاب من أجل مجتمع متماسك، وبثَّ فيهم الإيجابية والمسارعة إلى فعل الخيرات والتضحية من أجل هذا الدين، وجعل أسمى أهدافهم دخول الجنة، والنجاة من النار؛ بل الحرص على الفردوس الأعلى.

٧ الشورى وتحمل المسؤولية:

حيث كان النبي ﷺ يعتمد على الشورى بين الصحابة، ويعطي الأمانة والمهام لمن

يثق بكفاءتهم وقدرتهم؛ كلٌّ حسب تخصصه والمهمة التي أرسل بها، كما يوفر المتابعة والحافز لإنجاز المهمات.

❑ **وهكذا يمكننا القول باختصار:**

إن استراتيجيات النبي محمد ﷺ في بناء الفرد والمجتمع المسلم تقوم على أساس متين من التوحيد والإيمان والعقيدة الراسخة، والتخطيط، والشورى والعدالة، والتربية القويمة.

وفي المقابل فإن الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي لم تكن حرب إبادة، بل إدارة سياسية وأمنية حكيمة، تدرجت من الميثاق والتعايش، إلى الحزم عند الخيانة، إلى الصلح حيث أمكن، وقد أرست أنموذجًا فذًّا في التعامل مع الأقليات والجماعات المنافسة.

كما كانت خطةً متعددةَ الأبعاد، جمعت بين الدعوة والعقد الاجتماعي والاقتصادي، والدبلوماسية، والحزم العسكري عند الضرورة، وهي تقدم أنموذجًا خالدًا لإدارة العلاقات مع الأقليات والخصوم: رحمةٌ مع الالتزام، وحزمٌ مع الخيانة.

التاريخ الإسلامي والمشروع اليهودي

يمثل المشروع اليهودي- في التاريخ الإسلامي المبكر- تحديًا استراتيجيًّا للنبي ﷺ وللمجتمع المسلم الناشئ في المدينة المنورة؛ إذ تميَّز اليهود بامتلاك نفوذ اقتصادي وسياسي وإعلامي داخل المدينة، فضلًا عن امتداداتهم مع قوى خارجية كقريش وغطفان، وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي، من خلال قراءة نصوص الكتاب والسنة، وتحليل وقائع السيرة النبوية، واستخلاص الدروس والعبر للأمة المعاصرة؛ لاستشراف مستقبل أفضل في التعامل الإسلامي الرشيد.

وقد جاء في كتب السير والتاريخ كثير من التفاصيل، لكنها مع كثرتها جاء في بعضها التناقض واختلال السردية، ولن ننشغل بتحقيق الأحداث أو الولوج في تفاصيل بعيدة عن مراد هذه الدراسة، مع حرصنا – قدر المستطاع- على الأخذ بالصحيح منها؛ محاولين بذلك رسم خارطة ذهنية متسلسلة- بحسب الوقائع التاريخية- مختصرين ومتجاوزين غيرها من أحداث لا تخص اليهود في العهد النبوي.

ويأتي هذا المبحث من قبيل التأمل والتدبر في السيرة النبوية العطرة؛ مستلهمين منها ما يكون زادًا في التصدي المعرفي لذلك الاستعلاء اليهودي الذي نعيشه في أيامنا هذه، وقد تجنبنا فيه- قدر المستطاع- الإطالة والحشو إلا بقدرٍ يوصل الفكرة بسلاسة وسهولة، مختصرين النصوص النبوية والآثار التاريخية؛ للتركيز على أصل فكرة الدراسة.

نظرات في واقع اليهود في مكة والمدينة

الخلفية التاريخية:

وضع اليهود في الحقبة المكية:

كان اليهود في جزيرة العرب جماعات وليسوا دولة مركزية، وكانوا يعتقدون إلى زمن ما قبل تأسيس الصهيونية أنهم منفيُّون بأمر الرب، وأنهم ينتظرون مخلِّصًا يقودهم ويخلِّصهم مما هم فيه من تشتت؛ ولهذا السبب كان اليهود في الجزيرة العربية وغيرها من أماكن بمثابة تجمعات وكيانات تجمعها القبيلة أو أحيانًا الظروف، ولم يكن لهم قيادة مركزية تجمعهم أو حبرًا أو مجمعًا دينيًّا يصدرون عن رأيه.

هذا ما أشار إليه ولفنسون قائلًا: «ليس عندنا مصادر موثوق بها تؤيد وجود دولة يهودية في شمال الجزيرة»[١].

فكان كل تجمُّع له قيادته ومِدراسُه الخاص الذي يتلقى فيه تعاليم التوراة، كانت الخلافات- بل أحيانًا القتال- فيما بينهم على مصالح دنيوية وليست دينية، كما كان الخلاف بين بنو قريظة والنضير من جانب ضد إخوانهم من يهود بني قينقاع، لما حاربوهم إلى جانب الخزرج، وألجأوهم إلى حي محدود في المدينة، ومع هذا كانت لهم مكانة بين العرب، ويقرُّون لهم بالعلم بقولهم: «لكم علم ليس لنا»[٢].

وأضف إلى ذلك قوة اقتصادهم، ومكانتهم التجارية والصناعية.

---

(١) تاريخ اليهود (ص ٥١).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠١).

لقد شكَّلت بعثة النبي ﷺ صدمة قوية لليهود؛ لأنهم كانوا يعتقدون- وبشكل لا يقبل الشك- أن النبوة فيهم، وهي التي لأجلها سكنوا الجزيرة، وانتظروا ردحًا من الزمن هذا النبي المرتقب التي جاءت أوصافه في كتبهم؛ فقد روى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: «أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥] قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أرسلناكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّين، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وكما قال عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، لَقِيتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ النَّبِي ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ»(١).

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن لليهود ذكر أو دور أو وجود تاريخي في مكة، سوى التردد عليها للتجارة فقط، ولم يكونوا في صدارة مشهد مواجهة الرسول العسكرية أو حتى السياسية يوم أن كان في مكة، وقد أشار الواقدي إلى ذلك قائلًا: «أفراد من اليهود كانوا يأتون مكة لأشغال تجارية، وأعمال مختلفة، وإن أهل مكة أنفسهم كانوا يقصدون إلى خيبر؛ ليجلبوا منها حلي آل أبي الحقيق»(٢)، ولا يمنع أن يكون نفر قليل من اليهود سكنوها كما سكنوا الطائف.

وقد جاء في الأثر ما رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥).

(٢) ينظر: فتوح البلدان، للبلاذري (ص٦٣).

قريش: يا معشر قريش، هل وُلِد فيكم الليلة مولود؟ فقالوا: والله ما نعلمه...»[١]، وأخرج ابن سعد في طبقاته عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات»[٢]، ولا يمنع أن النبي ﷺ احتكَّ باليهود في بيع أو شراء يوم أن كان يدير تجارة زوجه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لكن مع كل ما سبق، إلا أن الحديث القرآني عن اليهود- وفي الفترة المكية تحديدًا- كان حاضرًا محذرًا ومستشرفًا مستقبل العلاقات بعيدة المدى، ومآلاتها معهم.

وفي المقابل كان يرى النبي ﷺ في اليهود أنهم أقرب إليه من المشركين، وحاول مرارًا تأسيس مجتمع متناغم بينه واليهود، قائم على مفهوم أنهم أهل كتاب، تجمعهم الكثير من نقاط الالتقاء عن غيرهم من المشركين، لكن اليهود لم يكونوا يعيرون هذا الأمر اهتمامًا، بل فضَّلوا أهل الشرك على الإسلام، وتحالفوا معهم ضد الرسول ﷺ، وناصبوه العداء بشعار أطلقوه «عداوته- والله- ما حييت»[٣].

ولم يكن لليهود وجود في مكة ولا مواجهات مباشرة، لكنهم كانوا يبثون سمومهم، وما أن علموا بخبر بعثة النبي ﷺ حتى حاصوا واضطربوا اضطرابًا أفقدهم توازنهم.

وفي المقابل كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعِدُّ نبيه ﷺ ويعمل على تعبئته معنويًّا، ويُطلعه على طبيعة بني إسرائيل وأخبار أسلافهم من الأنبياء والمرسلين والصالحين، وأسباب ضلال كثير منهم وطرق إهلاكهم، كما أطلعه على ما سيكون منهم من فساد عريض في قابل الزمان كما في سورة الإسراء.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤١٧٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٢).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٥١٩).

باختصار كانت العلاقة بين اليهود والنبي ﷺ يوم أن كان في مكة مضطربة وحربًا بالوكالة، وكان اليهود يراقبون نتائجها عن بُعد، مع ما يعيشون من صدمة نفسية صعبة ومخاوف لم يعيشوا مثلها قط، فقد وقع ما لم يتوقعوه من أن النبي المرتقب في «فاران» [١] ليس منهم !!

وكان من لطف الله بنبيه ﷺ أن نجاه الله من اليهود يوم كان طفلًا [٢]، وبدت عليه علامات النبوة لمن كان عارفًا بها، ولو علموا به حينها لقتلوه، وبهذا حذر الرَّاهِبُ عمَّ النبي أبا طَالِبٍ، فقال له: «لَا تَخْرُجَنَّ بِابْنِ أَخِيكَ إلى مَا هَهُنَا؛ فَإِنَّ الْيَهُودَ أَهْلُ عَدَاوَةٍ، وَهَذَا نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْيَهُودُ تَحْسُدُهُ، تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إسرائيل، فَاحْذَرْ عَلَى ابْنِ أَخِيك» [٣].

كفار قريش يستعينون باليهود ضد دعوة محمد ﷺ:

وجدت قريش نفسها عاجزة عن مواجهة حجة النبي ﷺ القائمة على وحي وغيب وقرآن منزل، ولكونهم ليسوا أهل كتاب، فإنهم وجدوا في دعوة النبي ﷺ أمرًا يفوق مستواهم العلمي والعقدي، وهذا ما عبَّر عنه النضر بن الحارث الذي صرَّح قائلًا: «يا معشر قريش، إنه- والله- قد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد، فانظروا في شأنكم، فإنه- والله- لقد نزل بكم أمر عظيم»[٤]، فقرروا بعد تشاور بينهم إحالة الأمر إلى يهود؛ لأنهم

---

(١) ومما جاء في التوراة يشير إلى مكان مبعث النبي ﷺ: «الله جاء من تيمان، والقدُّوس من جبل فاران» حبقوق (٣/ ٣).

(٢) ذكر الطبري في تاريخه أنه كان ابن تسع سنين فقط (٣/ ٢٧٨)، وأما ابن سعد في طبقاته (١/ ١٥٥) فقال: إنه كان ابن اثنتي عشرة سنة.

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد (١/ ٣٤٨).

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣٠٠).

أهل كتاب، فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود في المدينة؛ ليتعرفوا على حقيقة هذه الدعوة الجديدة وكيفية مواجهتها.

فقالوا لهم: سلوا اليهود عن محمد، وَصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئنا لكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث، نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل... [(١)].

القرآن الكريم المكي يحدث النبيَّ ﷺ عن تاريخ بني إسرائيل:

خمسون سورة تحدثت للنبي ﷺ عن بني إسرائيل في العهد المكي، تخدم فكرتها الجانب الدعوي والتربوي والعقدي واستشراف طبيعة الصراع معهم قابل الزمان، وقد كانت الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل بمثابة دلالة هداية للمشركين الذين في مكة واليهود الذين يرصدون ما يأتي به محمد ﷺ، ومعرفتهم المسبقة بأن بني إسرائيل أمة من أتباع أنبياء سابقين، أنزل الله عليهم التوراة، وجاء النبي محمد ﷺ ليكمل مسيرة إخوانه الأنبياء الذين قبله، وقد كان مدار تلك الآيات القرآنية حول الأمور التالية، مجملة في:

❑ **تعريف بهم وتاريخهم:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:٧٦-٧٧].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣٠١).

❑ **التفضيل الرباني والمنة على بني إسرائيل:**

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٦-١٧].

❑ **التحذير والإنذار المبكر للرسول وأتباعه:**

من اتباع انحرافاتهم وسوء تعاملهم مع أنبيائهم: قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

❑ **الإخبار عن أخطر فساد سيقع منهم:**

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٤-٨].

❑ **التنبؤ القرآني المكي بمصير اليهود:**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى

ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٨].

وأنهم جميعًا ليسوا سواء في العناد والكفر: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٩].

كل ذلك بمثابة ضرب من ضروب الإعداد العقدي، وتعبئة معنوية ومعرفية ودربة للنبي ﷺ، واستشراف لطبيعة المعركة ومآلاتها، للمواجهة القادمة مع اليهود.

مدخل

سورة الفاتحة تحذر من اليهود:

سورة الفاتحة كاملةً من أوائل ما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ في المرحلة المكية؛ لتكوين الشخصية الإسلامية من خلال إلقاء الضوء على المناهج المنحرفة، وهي في حقيقتها إنذار مبكر من اتباع منهج اليهود والسير في ركابهم.

روى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليَهُود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النَّصَارى»(١).

إِنَّ اليهود هم ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] وهو من أخص أوصافهم وخلاصتها، وبه كان النبي ﷺ يعرِّف اليهود بصيغة الذمِّ لهم، فعن الشَّرِيدِ بن سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدي، فَقَالَ: **أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!**»(٢).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بُلْقِينٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: **هَؤُلَاءِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ**، فَأَشَارَ إِلى الْيَهُودِ...»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٣٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٤١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٦٣).

(٢) أخرجه أَبُو داود (٤٨٤٨) بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣٥١)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

وذلك لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهو دعاء أن يجنبه سلوك طريقهم المخالفة للتوحيد الخالص، بعد أن عرفوا الحق واجتنبوه، فكانوا بهذا أهل شهوة وكتم للعلم، فهم أهل علم ليس معهم عمل، قال طائفة من السلف: «مَنِ انْحَرَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنِ انْحَرَفَ مِنَ الْعُبَّادِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى»[(١)]، فالعاقل اللبيب الذي يزداد علمًا ليزداد بصيرة ليجانب طريق وطريقة اليهود.

وقد بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما وهب بني إسرائيل كتاب التوراة كتبه بيده والحكم والنبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٦-١٧].

قال قتادة: «هم اليهود، كفروا بما أنزل الله وبمحمد؛ بغيًا وحسدًا للعرب، فباءوا بغضب على غضب، قال: غضب الله عليهم مرتين، بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وبكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ»[(٢)].

وقد استهان بعض قومنا في موالاتهم لليهود والتعاون والتنسيق بينهم في التآمر على الدعوة والدعاة، وقد غفلوا أن في ذلك غضبًا من الله عليهم، كما أخبر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:١٤]، قال قتادة: «هم المنافقون، تولوا اليهود وناصحوهم»[(٣)].

وكانت هذه السورة بمثابة إعلام وإعلان لليهود بمواجهة مبكرة ومفتوحة وصريحة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٣٣/ ٤٦٠).

(٢) الدر المنثور (١/ ٢٧٠)، وينظر: الصحيح المسبور (١/ ١٩٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٧).

ضدهم، فهي السورة الوحيدة في القرآن الذي يؤمِّن فيها المصلي على الدعاء وبصوت عال بقوله: «آمين»، وكان يرتجُّ مسجد النبي بها، كما نقل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] قال: آمين، حتى يسمعها أهل الصف الأول، فيرتج بها المسجد» (١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما حسدنا أهل الكتاب؛ لأن أولها حمد الله وثناء عليه ثم خضوع له واستكانة، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم، ثم الدعاء عليهم مع قولنا: آمين» (٢)، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَا حَسَدَتْكُمُ اليهودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**» (٣).

لا يخفى على اليهود هذه السورة التي تتحدث عنهم، ويفهمون مراد النبي من قول: «آمين»، وما فيها من إغاظة لهم.



(١) أخرجه ابن ماجه (٨٥٣).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٢٨).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٥٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سورة الإسراء.. تحذير من فساد يهودي مستقبلي كبير

سورة الإسراء مكية، افتُتحت بمعجزة الإسراء والمعراج، وما فيها من عبر صادمة لمشروعية الوجود اليهودي، مُنهِيَة حلمهم بوراثة الأرض المقدسة ومسجدها، وتأكيد وراثة النبي محمد ﷺ لها، وتدشين ذلك بحضور لم يسبق له مثيل عبر التاريخ، جمع الله فيه أنبياءه في صعيد المسجد الأقصى في زمن واحد.

ثم انتقلت الآيات إلى تذكير اليهود بفضل الله على بني إسرائيل وما كانوا عليه من هداية، إلى مشهد بعيد الزمان، يكون فيه لليهود علوٌّ وفساد كبير، يخبرهم المولى عنه في توراتهم، ثم يعيد التذكير والتنبيه مرة أخرى في هذه السورة.

آيات شكَّلت أكبر تحذير مستقبلي من خطر اليهود، عن أعظم فساد يقع منهم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٤-٨].

يخبر الله تعالى مستشرفًا مستقبل ما سيكون عليه اليهود من فساد عريض على مستوى

الأرض والبشرية، وبيَّن سبحانه عدد هذه الجولات، ومكامن قوتهم فيها، وعاقبتها المبشرة للمؤمنين.

وقد تعرَّضت هذه الآيات لشيء من خطط ونوايا اليهود المستقبلية وحجم فسادهم الكبير جدًّا، يكشفها الله تعالى في القرآن للفئة المؤمنة؛ تحذيرًا وتنبيهًا للتهيؤ لمواجهتهم في المرحلة القادمة.

هذه السورة المباركة التي عُرفت بسورة الإسراء وسورة بني إسرائيل جاءت في نفس الظروف التي نزلت فيها سورة الفاتحة، حيث لا وجود لليهود في مكة ولا مواجهات مباشرة، لكنه تحذير وإنذار رباني مبكر للتنبيه والحذر من هذه الخلايا النائمة المتناثرة في الجزيرة العربية، والتي تُضمر كل أنواع الشر للبشرية.

التذكير بنعم الله على بني إسرائيل:

وكما ذكرنا فقد لفت القرآن الكريم انتباه النبي ﷺ إلى بعض النعم التي امتنها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على بني إسرائيل، كما جاء مثلًا في سورة الأعراف ويونس، وكيف نجَّاهم من فرعون وجنده، وكيف أكرمهم في التيه بالمن والسلوى وغير ذلك، وفي سورة إبراهيم قصة موسى مع قومه مذكِّرًا لهم نعم الله عليهم، وغيرها من سور مكية مثل سورة مريم وطه والشعراء والنمل والقصص والصافات والزخرف والدخان وق والنجم، سور كلها مكية تطرقت بشكل أو بآخر عن بني إسرائيل؛ تذكيرًا بنعم الله عليهم، أو وصفًا لحالهم وشيئًا من سيرهم، وتحذيرًا لنبيه الكريم من سلوكهم المشين.

في نهاية المطاف يؤكد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن استبدال اليهود وخروجهم من مشهد الخيرية لم يكن من فراغ، فهي أمة لا تستحق فضل الله وكرمه عليها، كما لا تستحق وراثة الأرض وقيادة البشرية، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

وأن وراثة الأرض لعباد الله المؤمنين، الذين كانوا على صراط الله المستقيم، متبعين أنبياء الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

من وسائل اليهود في الحرب ضد النبي ﷺ في مكة

النفوذ الاقتصادي اليهودي في مكة:

كان لليهود في مكة نفوذ اقتصادي كبير، وكانت أموالهم من الأموال التي تحرِّك قوافل رحلتي الشتاء والصيف باتجاه الشام واليمن، وبعض كبار قريش ارتهنوا ربويًّا لليهود، مثل أبي سفيان وخالد بن الوليد والعباس عم النبي ﷺ وغيرهم، حيث التزموا في عقود ربوية مع اليهود؛ ليمدُّوهم بالسيولة المالية اللازمة لدعم قوافلهم التجارية، وقد ذكر المولى عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء:١٦١]، وكان اليهود سببًا في نقل آفة الربا إلى كفار قريش، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقد أشار النبي ﷺ صراحة إلى تعاطي قريش زمن جاهليتها بالربا في خطبة حجة الوداع قائلًا: «...**وَرِبَا الجاهليةِ موضوعٌ، وأولُ ربًا أضعُ من رِبَانَا ربا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، فإنَّهُ موضوعٌ كلُّه**»[1].

ولا شك أن هذه المصالح التجارية الربوية المشتركة بين اليهود وكفار قريش، والتي كانت مبررًا في ارتهانهم لليهود، بسبب القروض الربوية ونفوذهم المالي الداعم والممول لتجارة قريش، ومكانتهم كأمة معها رسالة من السماء يتباهون بها أمام غيرهم، ألقت بظلالها على كفار قريش وأضعفت مكانتهم عند اليهود، وارتهن بعض قرارهم بيد اليهود.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التحريض الاعلامي:

حزمة إعلامية متنوعة وخبيثة كانت تواجه مشروع الرسول ﷺ، محتشدين في عدة محاور، ومن عدة كيانات، متحدين أحيانًا ومتفرقين أخرى؛ لصياغة جملة كبيرة من الإشاعات والأكاذيب والترَّهات، يبثُّها يهود وحلفاؤهم من كفار قريش والمنافقين بقيادة ابن سلول.

فقد كان اليهود يحذِّرون قريشًا من متابعة النبي ﷺ، ويزعمون أنهم أحق بالنبوة منه، وأن ما جاء به محمد هو في أصله من كتبهم، وأحيانًا يخالف ما جاءهم به الأنبياء السابقون، وزعموا أن ما جاء به هو شعر أو من أساطير الأولين، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان:٥]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان:٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان:٧]، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠]، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ﴾ [الطور:٣٣]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ [الزخرف:٣١].

اتفاق المصالح:

كان الحراك السياسي على أَشُدِّه بين اليهود وزعماء قريش وبعض القبائل الأخرى؛ لمحاصرة المشروع النبوي، والإحاطة المبكرة بتحركاته، وقد أفضت هذه التحركات إلى اتفاقيات وتحالفات وديَّة تشاورية، جاءت فيما بعد على شكل عهود واتفاقات واضحة، أخذت بشكل جاد وإلزامي أكثر في العهد المدني، بالإضافة إلى الدعم المادي، كانت كل الأطراف المتناقضة على رأي واحد لمواجهة مشروع التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ؛

لأنهم على علم أن نجاح دعوة النبي ﷺ سيبدد مشروعهم ووجودهم برمته، وأن نهايتهم السياسية والعقدية واقعة لا محالة عند نجاح العقيدة التي يدعو إليها النبي محمد ﷺ.

لم تكن هناك تحالفات بمعناها الواسع، بل كانت مقدمة لتحالفات ستأتي لاحقًا، تفرضها الظروف، مثل تحالف بني النضير في غزوة الأحزاب.

ولشدة تتبعهم حراك النبي ﷺ باتجاه المدينة كان بعض اليهود أول من علم بوصول النبي ﷺ للمدينة، لما رآه أحدهم نادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون [١].

لم ينتظر حُيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر وصول النبي ﷺ إلى المدينة، بل ذهبا إلى قباء فور وصوله إليها؛ ليتحسَّسا الخبر عن قرب.

تروي لنا صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت حُيَيِّ بنِ أخطب سيد يهودِ بني النَّضيرِ بالمدينة، زوجة النبي ﷺ، مشهد أبيها وعمها وحجم الصدمة التي وقعت عليهما حينما أيقنا أن محمدًا ﷺ هو النبي المرتقب.

تقول: «كنتُ أَحَبَّ ولد أبي إليه وإلى عَمِّي أبي ياسر، لم ألقَهُما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه؛ فلمَّا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، ونزَل قباءَ في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حُيَيُّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلِّسين- أي: ساروا بغَلسٍ، وهو ظُلْمة آخر الليل، قالت: فلم يَرجِعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطَينِ يَمشيان الهُوينى، فهَشَشْتُ إليهما كما كنتُ أصنَعُ، فواللهِ ما التفَت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قالت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وسمعتُ عمي أبا ياسرٍ وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب: أهو هو؟ أي: هل محمد ﷺ هو النبي الذي نَنتظرُهُ، الموجودة بشارته في كتبنا؟، قال حيي بن أخطب: نعم والله، قال أبو ياسر: أتعرفه وتُثبِتُه؟ قال حيي بن أخطب: نعم، قال أبو ياسر: فما في نفسك منه؟ قال حيي بن أخطب: عداوتُه- واللهِ- ما بقيت» [١].

كان حُيي بن أخطبٍ وأخوه أبو ياسر ممَّن عَلِموا يقينًا صدق النبي ﷺ، لكنَّهما لم يُسلِما عنادًا واستكبارًا.

التحالفات الشيطانية:

لقد كان من أبرز أشكال التحالفات والتعاون الفكري والمعلوماتي بين قريش واليهود تزويد اليهود للمشركين بالأسئلة، التي ظنوا أنها ستفنِّد دعوة النبي ﷺ، وستكون سببًا في إحراجه وإخراجه من دائرة النبوة، وذلك لما انطلق النضر بن الحارث وعقبة بن معيط رسلًا عن قريش إلى أحبار اليهود في المدينة يتزودون بالمعلومات، لم تكن هذه الجولة الأولى والأخيرة، بل تبعها جولات قادها أبو سفيان ليستعين بحجج اليهود؛ لاتهام ما جاء به من قرآن أنه من أساطير الاولين، وأن بعض ما فيه مخالف للتوراة، أو اقتباس منها.

ولم يتوقف اليهود عند هذا الحد، بل أطلقوا أبواقهم في مواجهة النبي ﷺ عن بُعد، بتحريض العرب ضده، لم تأخذ هذه المرحلة شكلًا عسكريًّا في المواجهة المفتوحة، ويمكن وصفها بالحرب الباردة أو الحرب الإعلامية غير المباشرة بين النبي ﷺ واليهود يوم أن كان في مكة المكرمة.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٥١٩)، عيون الأثر، لابن سيد الناس (١/ ٢٧٧)، الروض الأنف، للسهيلي (٢/ ٣٧٦).

أما قريش فقد خاضت حرب النبي ﷺ وأتباعه بالوكالة عنها وعن اليهود، وأخذت في مواجهته وأتباعه في مكة على عاتقها، واستخدمت كل أنواع الترهيب وأشكال التعذيب المفرط بلا هوادة أو رحمة ضد كل من اتبع النبي ﷺ.

هكذا بشكل أو بآخر كانت قريش مرهونة لليهود؛ بسبب مكانتهم الدينية، كونهم أهل كتاب، ومن جانب آخر مرهونة اقتصاديًّا لتغلل الربا اليهودي في عصب اقتصادهم، والذي كان له دور في تمويل الرحلات التجارية القرشية إلى اليمن والشام، كل ذلك كان سببًا في التبعية القرشية لليهود في المدينة وخيبر.

البعد الاستطلاعي:

كان اليهود يدركون أن نجاح النبي ﷺ في دعوته بمكة سيلقي بظلاله على المدينة، وستكون المحطة الثانية بعد مكة، فكانت إجراءات اليهود العاجلة للحيلولة بكل ما أوتوا من قوة ضد هذه الدعوة ومواجهتها مبكرًا، ومحاولة وأدها في مهدها.

ما فتئوا من مراقبة النبي ﷺ وتحركاته وهجرة بعض أصحابه إلى الحبشة، ومدى تأثير محاصرة قريش له في شعب أبي طالب، ومدى نجاح مشروعه ومطابقة ما جاء في كتابهم بصفاته ﷺ، كل ذلك كان محل مراقبة اليهود.

مواجهة شبهات اليهود:

وبحكم أنهم أهل كتاب، فإنهم استغلوا مكانتهم وتميزهم بين قبائل المشركين في التشويش على النبي ﷺ وتكذيب ما جاء به، ومحاولة إحراجه بأسئلةٍ لا علم للنبي ﷺ بأجوبتها إلا بوحي من الله، من خلال طرح أسئلة تعجيزية هي من علم الغيب أو من أخبار الأولين ينقلها اليهود لقريش، بسؤالهم مثلًا عن أهل الكهف وذي القرنين والروح،

كلها نزلت إجاباتها في سورة الكهف، فكان يأتيه الوحي بالإجابة الشافية عن هذه الأسئلة، وغيرها من أسئلة كثيرة ينقل طرفًا منها الصحابي الجليل ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: **سَلْ**، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**، قَالَ: فَمَنْ أول النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا** قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أهل الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: **يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: **مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ**، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

وأجوبة النبي ﷺ لهم لم تزدهم إلا كفرًا وعنادًا، وفي الوقت نفسه أثبتت أنه نبي مرسل يوحى إليه.

وضع اليهود في الحقبة المدنية:

يعتقد كثير من المؤرخين أن الوجود اليهودي في المدينة قد يصل إلى زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنهم بقايا مَن تخلف عنه بعد الحج، جاءت بعض الآثار تؤكد حج موسى وغيره من الأنبياء إلى المسجد الحرام، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا، مِنْهُمْ مُوسَى، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ عباءتانِ قَطْوانِيَّتانِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ شَنُوءَةَ، مَخْطُومٍ بِخِطَامِ لِيفٍ لَهُ ضَفْرَانِ**» (١).

وَعَن أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لقد مرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَبيًّا، مِنْهُمْ نَبِي الله مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُفَاةً عَلَيْهِم العباءُ، يَؤُمُّونَ بَيتَ الله الْعَتِيقَ**» (٢).

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، فمررنا بواد، فقال: **أَيُّ وَادٍ هَذَا؟** فقالوا: وادي الأزرق، فقال: **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ، وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي**، قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية، فقال: **أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟** قالوا: هَرْشَى - أَوْ لِفْتٌ - فقال: **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا**» (٣).

وذكر علي السمهودي مفتي المدينة المنورة ومؤرخها أن النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرَّ على

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٢٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٧٢٣١)، وقال المنذري رحمه الله: «أخرجه أَبُو يعلى وَالطَّبَرَانِيُّ، وَلاَ بَأْس بِإِسْنَادِهِ فِي المتابعات، وَرَوَاهُ أَبُو يعلى أَيْضًا من حَدِيث أنس بن مَالك». انتهى من الترغيب والترهيب (٢/ ١١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦).

المدينة ومعه بعض بني إسرائيل، خلال حجِّهم إلى البيت العتيق في مكة، فوجدوا يثرب مطابقة لوصف «بلد نبيٍّ يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين»، وأضاف السمهودي: فـ«قرروا أن يتخلفوا عنه ويبقوا في هذا المكان، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع، ثم تألف إليهم أناس من العرب ورجعوا على دينهم - اعتنقوا اليهودية-، فكانوا أول من سكن موضع المدينة» (١).

وذكر نحوه المؤرخ أبو الفرج الأصبهاني: «كان ذلك الجيش- جيش موسى- أول سُكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية، فاتخذوا بها الآطام -الحصون- والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زمانًا طويلًا» (٢).

ويعتقد الدكتور وُلفنسون أنه يمكن الاستنباط مما ذُكر في العهد القديم وفي أخبار المؤرخين العرب، أن «بطونًا إسرائيلية وُجدت في يثرب وخيبر، قبل وصول جموع اليهود إلى الأصقاع العربية في زمن لاحق» (٣).

وفي رأي آخر يرى أن الوجود اليهودي في الجزيرة كان في القرن السادس قبل الميلاد بعد غزو «نبوخذ نصر» فلسطين، وغزو تيطس الروماني عام (٧٠م)، تشتت اليهود في البلاد، ومنهم من سكن الجزيرة العربية ترقبًا لنبي جاء وصفه في كتبهم المقدسة.

كل الأحوال المذكورة واردة في كتب التاريخ، وكل الأسباب منطقية بحسب الأحداث التاريخية، ومع هذا نجد فقرًا كبيرًا في المراجع التي تتحدث عن الوجود اليهودي في الجزيرة العربية، وتحديدًا على صعيد المؤلفات العربية، ومن جانب آخر يؤكد ولفنسون: أنه لا يوجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب إلا شيئًا ضئيلًا لا يتجاوز

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى. (٢) الأغاني (٢٢/ ٣٤٣).

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، المطبوعة عام ١٩٢٧م.

بضعة نصوص اندمجت في بعض الكتب اندماجًا عرَضيًّا غير مقصود، وأن هذا علامة أن يهود العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية أبناء جنسهم في جهات العالم؛ لهذا كان يهود دمشق وحلب في القرن الثالث الميلادي ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية [١].

وبالتالي لم يكن لليهود في المدينة ولا في خيبر ولا الجزيرة العربية دولة أو كيان سياسي أو إداري مركزي موحد يجمع اليهود تحت حكومة مركزية موحدة؛ وإنما كانت تجمعاتهم على شكل جزر من الحصون المتفرقة يحكمها زعماء محليون ينتمون لها عرقيًّا، وبشكل تقديري كان تعدادهم في المدينة والتي فيها أكبر تجمع لليهود في الجزيرة العربية نحو من أربعة آلاف إلى ستة آلاف نفس، والجند فيهم قرابة ألفي مقاتل تقريبًا.

ومما يؤسف له أن كثيرًا ممن كتب في تاريخ اليهود اعتمد على كتب اليهود ولا سيما التوراة بجميع أسفارها، إضافة إلى التلمود، وبعض مؤرخيهم مثل يوسيفوس المتوفى عام مائة ميلاديًّا، لكن لا يمكن الاعتماد عليها كمراجع دقيقة ومعتمدة؛ لخلوها من المصداقية، بسبب ما وقع فيها من تحريف وتأويل وزيادة وشطب، فضلًا عن مخالفتها لسياقاتها التاريخية وإفراطها في المبالغة.

اليهود وإذكاء الصراعات:

كانت المدينة المنورة (يثرب) قبل الهجرة تعجُّ بالصراعات القبلية بين الأوس والخزرج، وكانت القبائل اليهودية (بنو قينقاع، بنو النضير، بنو قريظة، وغيرهم) تمثل القوة الاقتصادية والسياسية المهيمنة في المنطقة، وتتحين الفرص لإضعاف العرب وإذكاء النزاعات بينهم.

---

(١) ينظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب (ص١٨، ١٩، ٢٠).

ولا نخفي سرًّا إن قلنا: إن اليهود كانوا سببًا غير مباشر ولا مقصود في تهيئة الأوس والخزرج للدخول في الإسلام، بحكم أن اليهود أهل كتاب كانوا يترقبون بعث نبي منهم، وأن النبي ﷺ جاء بنظير ما يفتخر به اليهود، لكن المفاجأة كانت أنه ليس منهم، كل ذلك وبشكل تراكمي بعيد الزمن هيأ نفوس الأوس والخزرج لتقبُّل دعوة النبي ﷺ والتصديق بها.

وقد ذكر ابن هشام في سيرته ما يؤكد هذه الإشارة عن رجال من الأنصار قالوا: «إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارَب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنَّا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من البقرة ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]» [(١)].

كانوا يعرفون كل شيء عن النبي المرتقب، حتى تلمَّسوا لحظات مولده، ذكر ابن إسحاق «أن حسَّان بن ثابت قال: والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! ما لك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلد به» [(٢)].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٢١١). (٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ١٥٩).

نشأت علاقة الرسول ﷺ بيهود المدينة والجزيرة العربية مضطربة ومعقدة ومتعددة المراحل وأنواع الصراعات، ويمكن أن نجملها على النحو التالي:

١ مرحلة التعايش والتحالف، وكانت بداية الهجرة إلى المدينة (١ هـ).

٢ حالة التوتر ونقض العهد، وكانت تقريبًا: (من ٢- إلى ٥ هـ).

٣ مرحلة الإجلاء الأخير، في خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء (٧ هـ).

بداية التعامل بالسماحة والتأليف:

كان النبي ﷺ يسعى إلى تأليف قلوب اليهود بعد الهجرة، فوافق على وجودهم في المدينة، وأباح لهم ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية كاملة ضمن المجتمع الإسلامي، وفق ميثاق المدينة المعروف الذي نظم العلاقة بين المسلمين واليهود وغيرهم من الطوائف.

وبذلك شجَّع النبي ﷺ على التعايش السلمي واحترام الحقوق، ووافقهم بوحيٍ ببعض ما هم عليه، مثل الصلاة نحو قبلة بيت المقدس فترة من الزمن، وصيام يوم عاشوراء الذي كان أحد الشعائر اليهودية.

وكانت معاملة النبي ﷺ لليهود بعد الهجرة تُوازن بين السماحة والعدل والرحمة، مع فرض الحزم عند الخيانة والخروج عن العهود، وهو نموذج سياسي وقانوني متكامل، يحفظ أمن الدولة ويضمن حقوق الأقليات، ويهيئ بيئة تعايُش متماسكة رغم التحديات، وإن مثل هذا التسلسل ليعكس واقع اليهود في المدينة في ظل الدولة الإسلامية، ويخدم بحثًا حول الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي.

فلم يكن سيف الرسول مسلَّطًا على رقاب اليهود، بل ترك لهم حرية الاعتقاد وممارسة شعائرهم والتملك وغير ذلك، وعمل على إجراءات كثيرة تحمي العلاقات والمصالح المشتركة، وتؤسس لسياسات متوازنة على أسس الاحترام المتبادل وحفظ حقوق جميع الأطراف، كما حرص النبي ﷺ على بذل السبل التي بها تكون سببًا في هداية اليهود وإعادتهم إلى رشدهم وطريقة أنبيائهم، وطرق أخرى يدير بها المخاطر والتحديات التي كانت تحيط دولته ﷺ، والتي دفعته لاتخاذ الاجراءات والخطوات الأمنية اللازمة.

بعد اكتمال نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في المدينة، وبمقدار لا يقل عن ثلث القرآن، رسم المولى أسس التعامل مع اليهود والتعريف بتاريخهم ومستقبل العلاقة معهم، فكانت رؤيته ﷺ تجاههم لا غبش فيها ولا لبس، وكان مما عمله النبي ﷺ يوم أن دخل المدينة:

تدوين الصحيفة (١ هـ):

ما أن استقر الأمر للنبي ﷺ في المدينة حتى نَظَمَ عقد التجمعات اليهودية وغيرها، تحت مظلة دولة تحميهم وتسوسهم بالعدل، فكانت الصحيفة أول وأهم الإجراءات النبوية السريعة التي بادر إليها النبي ﷺ فور وصوله المدينة المنورة؛ حيث كتب النبي محمد ﷺ وثيقة عُرفت بـ «الصحيفة» أو ما يعبر عنه بلغة اليوم «الدستور» لتنظيم العلاقة بين جميع مكونات المجتمع المدني من مسلمين ومشركين ويهود، وأن السلطة العليا لله ورسوله ﷺ، وقد كفلت تلك الصحيفة الحرية الدينية والاقتصادية لليهود وغيرهم، ونظمت طبيعة التحالف والدفاع المشترك لأبناء الوطن الواحد، وحددت الحقوق

والواجبات، واستوعبت بكل مرونة طبيعة العلاقات الداخلية بمكوناته المختلفة، وكانت بمثابة نظام سياسي شامل تطرقت فيه الصحيفة إلى ما لا يقل عن خمسة عشر بندًا على وجه الخصوص عن القبائل والتجمعات اليهودية صراحة، وحددت حقوقهم وما عليهم من واجبات [١].

ويلاحظ أن هذا الدستور كُتب في أول سَنة نزل فيها النبي ﷺ المدينة المنورة، وكان ضمن أول المشاريع التي رسخت قواعد دولة الرسول ﷺ، ونصت على الموادعة والمحافظة على حقوق الطرفين والتعاون الأمني والعسكري المشترك ضد الاعتداءات الخارجية، ومما جاء فيها: «لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم»، وفيها: «وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، وفيها: «وأنه مَن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة»، وفيها: «إنهم أمة واحدة من دون الناس»، ومما يؤكد على إقرار اليهود لها ما نُقل عن كعب القرظي قال: «لما قدم رسول الله المدينة وادعته اليهود كلها» [٢].

وعلى هذا الأساس من العدل الذي رسخه النبي ﷺ في مجتمعه كان يحتكم اليهود في الخلاف بينهم إلى النبي ﷺ، ونزلوا على رأيه، وذلك لما احتكموا بخلاف وقع بين بني النضير وبني قريظة في دية القتلى بينهم، فقد كانت بنو النضير ترى في نفسها أنها أعز من بني قريظة، وتفرض عليها دية القتيل ضعف ما على الأولى، فطالبت النبي ﷺ بالمساواة [٣].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، للعمري (ص٢٧٥)، وقال عن هذه الصحيفة: ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة.

(٢) رواه الواقدي في المغازي (١٧٦/ ١).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، للعمري (ص٢٩١).

وجاء في بعض الآثار التاريخية أن النبي ﷺ عقد عهودًا أخرى غير الصحيفة مع بني قريظة [١]، وكانت مع تجمعات يهودية أقل حجمًا وقوة، وكانت متناثرة مثل يهود بني غدية [٢]، وجاء في فتوح البلدان أنه كان بينه وبين أسرة شريفة من اليهود صحيفة [٣].

لقد أولى النبي ﷺ اليهود اهتمامًا كبيرًا أملًا في إسلامهم.

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٧٤).

(٢) ابن سعد، بعثة رسول الله الرسل بكتبه (ص١٨).

(٣) فتوح البلدان (ص٦٠).

الشروط الأساسية في معاهدة النبي مع اليهود

١ الإنفاق المشترك في الدفاع:

كان على اليهود والمسلمين الإنفاق معًا في الدفاع عن المدينة ما داموا محاربين، أي: يتحملون أعباء الدفاع بالتساوي حسب طاقتهم؛ لضمان أمن مشترك مستدام.

٢ الولاء والموالاة المتبادلة:

اعتُبر اليهود جزءًا من دولة الرسول ﷺ، لهم ديانتهم، والمسلمون لهم دينهم، مع مبدأ الولاء الداخلي، وعدم دعم أعداء المدينة، وفرض نفوذ العدالة على كل طرف، بحيث لا يستغل أحدهم الطرف الآخر.

٣ الحقوق الدينية والحريات:

ضمن النبي ﷺ لليهود حق ممارسة دينهم بحرية محفوظة داخل مجتمع متعايش، مع احترامهم لقوانين الدولة الإسلامية، واستثنائهم من فرض دين الإسلام إلا بالدعوة والإرشاد.

٤ منع التحالف مع الأعداء:

كان من شروط المعاهدة على اليهود عدم عقد أي تحالفات أو أي دعم لقريش أو غيرها من أعداء المسلمين، حيث كان نص صريح يمنعهم من أن يكونوا ذراعًا لأي طرف مُعادٍ يهدد أمن المدينة.

٥ عدم التحرُّك العسكري خارج المدينة إلا بإذن:

كان على اليهود ألا يخرجوا كجماعات أو يشاركوا في نشاطات عسكرية خارج المدينة دون إذن النبي ﷺ؛ لمنع استغلال ذلك في تأجيج الصراعات أو المؤامرات ضد الدولة.

٦ النصر والمساعدة المتبادلة:

اتفق الطرفان على نصر المظلوم، وتعزيز نصرة بعضهما البعض ضد أي اعتداء من الخارج، وتعزيز البر والنصح ضمن المجتمع الواحد.

الإجراءات النبوية مع اليهود في العهد المدني

لم يأت الرسول ﷺ ندًّا لأحد، بل كان رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وهي آية في سورة الأنبياء، وهي مكية بالإجماع، فكان كل ما يصدر عن النبي ﷺ من حركات وسكنات مع غيره على هذا المبدأ، وكان اليهود كغيرهم أمة دعوة، حرص النبي ﷺ على دعوتهم والأخذ بأيديهم إلى الجنة، من خلال:

١ الحرية الدينية:

لم يفرض النبي ﷺ على يهود المدينة ولا غيرهم ممن بقي من أوس وخزرج لم يدخلوا الإسلام أن يغيروا دينهم، بل كانت شعائرهم ظاهرة في المدينة من غير تعدٍّ عليهم، ومن ذلك ما ينقله ابن هشام في سيرته أن يهود يثرب كانوا يدعون الناس للصلاة بالنفخ في البوق [١].

حتى في حربه معهم كما في غزوة خيبر، كان مما غنمه النبي ﷺ منهم صحائف متعددة من التوراة، فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبي ﷺ بتسليمها لهم [٢].

وحرص على دعوتهم بالحسنى في كل مناسبة، حتى في حروبه ضدهم، فلم يكن يُغير عليهم إلا وبدأ بدعوتهم إلى الإسلام.

وكان عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من شرح الله صدره للإسلام، فقد جاء بنفسه إلى النبي ﷺ طواعية راغبًا محبًّا للإسلام، فور وصول النبي ﷺ المدينة المنورة.

---

(١) عيون الأثر (١/ ٢٣٤).

(٢) تاريخ الخميس (٢/ ٦٠).

لم يكن إسلام ابن سلام حدثًا عابرًا، بل أمرًا مزلزلًا لليهود، أن يكون أول من أسلم عند مقدم النبي ﷺ رجل من اليهود، بل حبرٌ من أحبارهم، فهذا فيه نسفٌ لعقيدتهم وسرديَّتهم التوراتية، وزعزعة للبنية المجتمعية اليهودية؛ كونه حبرًا كبيرًا فيهم، عَدَلَ عما كان عليه من دين، وفيه إقرار منه بصحة وصدق ما جاء به النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ﴾ [الأحقاف:١٠].

لقد كان إسلامه بمثابة جرعة ثقة زائدة لبعض المسلمين الجدد بصحة ما جاء به النبي محمد ﷺ، خاصة مع علمهم أن اليهودية دين سماوي، فكان بذلك إقرارًا منه أن اليهودية منسوخة بما جاء به النبي محمد ﷺ.

ليس هو الوحيد الذي أسلم من اليهود، بل تتابعت أعداد منهم شرح الله صدورهم للإسلام في مراحل مختلفة من وجود النبي ﷺ في المدينة، منهم: (أسيد بن سعية، وثعلبة بن سعية، ورفيع القرظي، وقيل: مخيريق، وغيرهم ممن ذكر اسمهم، أو لم يذكر في كتب السير والتراجم).

ومن هؤلاء على سبيل المثال ما ذكره أبو صخر العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجت إلى المدينة، فتلقاني رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر يمشي، فمر بيهودي ومعه سفر فيه التوراة يقرؤها على ابن أخ له مريض بين يديه، فقال النبي ﷺ: **يَا يَهُودِي، نَشَدتُّكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَفَلَقَ البَحْرَ لِبَنِي إِسرَائِيلَ، أَتَجِدُ فِي تَوْرَاتِكَ نَعْتِي وَصِفَتِي وَمخْرَجِي؟** فأومأ برأسه أن لا، فقال ابن أخيه: لكني أشهد بالذي أنزل التوراة على موسى، وفلق البحر لبني إسرائيل، أنه ليجد نعتك وزمانك وصفتك ومخرجك في كتابه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال النبي ﷺ: **أَقِيمُوا اليَهُودِيَّ عَنْ صَاحِبِكُمْ**، وقبض الفتى فصلى

عليه النبي وَأَجَنَّهُ»[١].

واستمر إسلام بعضهم حتى بعد وفاته ﷺ، وهكذا لم تكن ظروف إسلامهم أو مبرراتها واحدة، بل تنوعت، وكل منهم وجد الإسلام حاضرًا في زاوية من زوايا حياته.

٢ إقرار النبي ﷺ بعض ما عند اليهود في شريعتهم:

جاءت بعض أحكام الشريعة الإسلامية موافقة لليهود من خلال إقرار نبوة ما سبق من أنبياء بني إسرائيل، وأن النبي محمدًا امتداد لما هم عليه من عقيدة التوحيد، كما جاءت في بعض شريعة محمد ﷺ، موافقة لبعض ما جاء به موسى؛ على أمل تأليف قلوبهم للإسلام، كما ذكر ذلك القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يصم النبي ﷺ عاشوراء اقتداء باليهود، فإنه كان يصوم قبل قدومه عليهم وقبل علمه بحالهم، لكن الذي حدث له عند ذلك إلزامه والتزامه تأليفًا لليهود واستدراجًا لهم، كما كانت الحكمة في استقباله قبلتهم، وكان هذا الوقت هو الوقت الذي كان النبي ﷺ يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنه عنه». اهـ[٢].

كان النبي ﷺ حريصًا على تأليف قلوبهم واستمالتهم للدين الجديد، وكان ذلك بداية العهد المدني، لكن بعد أن رأى منهم التعنت والعناد بدأ يأمر بمخالفتهم في الكثير من الأحكام.

ومما جاء من موافقتهم في بعض الأحكام:

صيام يوم عاشوراء (العاشر من شهر محرم): روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: **مَا هَذَا؟**

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٨٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ١٩٢).

قالوا: هذا يوم صالح نجَّى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم، فصامه، فقال ﷺ: **أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**، فصامه ﷺ، وأمر بصيامه» (١).

وفي رواية قال: «حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظِّمه اليهود والنَّصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: **فَإِذَا كَانَ العَامُ القَابِلُ - إِنْ شَاءَ اللهُ - صُمْنَا اليَوْمَ التَّاسِعَ**، قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله ﷺ» (٢).

وكانت هذه المخالفة آخر حياته ﷺ، لمَّا لم يرج منهم خيرًا أمر بمخالفتهم في عدد الأيام مع بقاء أصل الصيام وهو يوم العاشر، والزيادة عليه يومًا قبله أو بعده.

٣ موافقة اليهود في قبلتهم نحو بيت المقدس بادئ الأمر:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستةَ عشرَ، أو سبعةَ عشرَ شهرًا، ثم صَرفه نحو القبلة» (٣).

أوَّل أمر الإسلامِ لمَّا فُرِضَت الصَّلاةُ في مكة بعد حادثة الإسراء والمعراج كانت قِبلتُه ﷺ إلى بيتِ المقدِسِ، وظلَّ يتَّجِهُ إليه في مكة قرابة عام كامل، وبعد هجرته إلى المدينة المنورة صلى تجاه بيت المقدس سِتَّةَ عشَرَ شَهرًا، أو سَبعةَ عشَر شَهرًا، فكان مجموع ما صلَّاه ﷺ نحو بيت المقدس ثمان وعشرين شهرًا تقريبًا من الصلوات المفروضة، وكانت صلاته ﷺ نحو بيت المقدس وحيًا من الله تعالى؛ بغرض تأليف قلوب اليهود في المدينة، مع أن النبي ﷺ كان يحب أن يصلي نحو الكعبة.

ثم جاء أمر الله لنبيه ﷺ بأن يصرف وجهه إلى الكعبة، قال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (١١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٥٢٥).

﴿تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤] ثم بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السبب من ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ فكان ذلك نوع اختبار لليهود بعد محاولة ميل قلوبهم يوم أن كانت القبلة نحو بيت المقدس، ثم صرفها إلى الكعبة؛ لتكون بمثابة اختبار وابتلاء لهم ولغيرهم من المنافقين، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: «ولعل الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] تشير إلى أن استقبال النبي ﷺ في الصلاة إلى القبلة التي يستقبلها اليهود؛ لقطع معذرة اليهود، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣]، فأعلم رسوله بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠]، بأن ذلك لا يلين من تصلب اليهود في عنادهم، فتكون إيماء إلى تمهيد نسخ استقبال بيت المقدس»(١). اهـ.

كما أجاز الشارع الكريم نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥].

٤ الحرص على إقامة العدل:

كان النبي ﷺ عادلًا مع اليهود، مع علمه بجورهم، ومن أمثلة ذلك ما يرويه الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: «كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟** قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: **احْلِفْ**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا يَحْلِفَ، وَيَذْهَبَ بِمَالِي! قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧] إلى آخِرِ الْآيَةِ»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٦).

ومن تمام عدله ﷺ مع اليهود أنهم شهدوا له بالعدل، وكانوا يحكِّمونه في الخلاف بينهم، وذلك لما احتكموا إلى النبي ﷺ بخلاف وقع بين بني النضير وبني قريظة في دية القتلى بينهم، فقد كانت بنو النضير ترى في نفسها أنها أعز من بني قريظة، وتفرض عليها دية القتيل ضعف ما على الأولى، فطالبت النبي ﷺ بالمساواة [١].

٥ البعد الأمني في سلوك المسلمين:

أسَّس النبي ﷺ أصحابه على الحسِّ الأمني كسلوك مجتمعي عام، وبسبب ما حوته المدينة بطوائفها وقبائلها المتنوعة وعلى رأسها اليهود ومن والاهم من المنافقين، فضلًا عن المشركين الذين بدأوا بالتناقص تدريجيًّا وبعض أفراد من النصارى، وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لاَ تُكْرِمُوهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللهُ، وَلَا تُدْنُوهُمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللهُ، وَلاَ تَأْمَنُوهُمْ إِذْ خَوَّنَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»[٢].

وقد اتخذ النبي ﷺ في هذا السياق إجراءات عملية صارمة؛ ليحفظ على دولته ورجاله أمنهم، متخذًا في ذلك كل أسباب الحيطة والحذر.

ومِن ثَمَّ ترسخ الحس الأمني، فأصبح ثقافة مجتمعية يدركها الجميع، «فلما عرَّس النبي ﷺ بزوجه صفية بنت حيي بن أخطب بعد غزوة خيبر، بات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحًا سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: **مَا لَكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ**؟ قال: يا رسول الله، خِفْتُ عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قَتَلْتَ أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثةَ عهد بكفر، فخفتها عليك» [٣].

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، للعمري (ص٢٩١).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٠٤٣٦)، وصححه الألباني، إرواء الغليل (٨/ ٢٥٥ – ٢٥٦).

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٢).

وكان يوصي بعض أصحابه أن يحملوا سلاحهم؛ تحسبًا من مكر اليهود، كما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «فَخَرَجْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الخَنْدَقِ، فَكانَ ذلكَ الفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسولَ اللهِ ﷺ بأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إلى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: **خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فإنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**، فأخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ...» [(١)]، وقد جاءت أحوال تظهر قوة الجانب الأمني عند النبي ﷺ، ومنها على سبيل المثال:

٦ سرعة القبض على المجرمين:

كان واضحًا مدى سعي النبي ﷺ إلى تحقيق الأمن الداخلي للمدينة، فاليقظة الأمنية في دولة الرسول ﷺ وسرعة القبض على المجرمين علامة واضحة على الجاهزية الأمنية العالية، وتلاقحها مع المؤسسة القضائية والرئاسية والتنفيذية، وغيرها من مؤسسات دولة المدينة المنورة.

يروي لنا أَنَسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طرفًا من سرعة الإجراءات الأمنية التي مارسها النبي ﷺ لتحقيق الأمن الداخلي في المدينة، وسرعة القبض على المتورطين في الأحداث والجرائم، وأنه لم يكن غافلًا عن تحركات اليهود بخاصة، يقول: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَتَلَ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى حُلِيٍّ لَهَا، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي الْقَلِيبِ، وَرَضَخَ رَأْسَهَا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخِذَ، فَأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ حَتَّى يَمُوتَ، فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ» [(٢)].

وفي رواية أخرى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ يَهُودِيًّا أَخَذَ أَوْضَاحًا مِنْ جَارِيَةٍ، ثُمَّ رَضَخَ رَأْسَهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَأَدْرَكُوهَا وَبِهَا رَمَقٌ، فَجَعَلُوا يَتَّبِعُونَ بِهَا النَّاسَ، هُوَ هَذَا، هُوَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٣) ومسلم (١٦٧٢).

هَذَا، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُضِخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ» (١).

لقد أدت عمليات البحث والتحري السريعة والدقيقة إلى معرفة الجاني، بعد سرعة استنطاق الطفلة المجني عليها قبل وفاتها، وسرعة القصاص منه؛ لتحقيق الأمن والسلم المجتمعي.

٧ دور الاستخبارات العسكرية في غزوة الأحزاب:

استفاد النبيُّ ﷺ من خبرة وعلاقة نعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جميع القبائل يوم الأحزاب في التخذيل بين المحتشدين ضده، من يهود وقريش وغطفان، في عمل استخباراتي خطير، كان ذلك سببًا رئيسًا في انتصار المسلمين في معركة الأحزاب.

وفي لحظات الخوف والحصار المطبق على المسلمين وإحاطة الكفار بالمدينة من كل جانب، فكان في شمالها المشركين بحدِّهم وحديدهم، وفي الجنوب يهود بني قريظة وقد غدروا به، وفي قلب المدينة نفر من المنافقين طابور خامس يعمل على تبديد اللحمة والفتِّ في عضد المسلمين.

وعلى غير موعد أتى نعيم بن مسعود بن غطفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ في غزوة الأحزاب، فقال له: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت؛ فقال ﷺ: «**إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ**» (٢).

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة؛ لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤٧٤١).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٤/ ١٨٨).

كان الحس الأمني للنبي ﷺ واستجابته السريعة والذكية لفرصةً نادرة الحدوث، استثمرها استثمارًا أمنيًّا رائعًا غيَّر مجرى المعركة، وحسم نتائجها لصالح المسلمين.

٨ الرسول ﷺ يراقب كلمات اليهود:

وصل الحس الأمني عند النبي ﷺ إلى مرحلة أصبح فيها يراقب ألفاظ اليهود، فقد ذكرت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: **مَا لَكِ!** قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: **فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»[١].

أظهروا في كلامهم أنهم أردوا قول: السلام عليكم، وفي رواية: «قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ»[٢] تعني: الْمَوْت العاجل، وفي رواية: «السَّآمُ عَلَيْكُمْ»[٣]، وَمَعْنَاهُ أَنَّكُمْ تَسْأَمُونَ دِينَكم، وقد قال الخطابي أن: «السَّامُ في لسانهم: الموتُ»[٤].

وهذا القول المشين صدر عن عدد من اليهود وليس من نفر واحد منهم فقط، وليس كما يظن البعض أنه سلوك شخصي، بل إنه سلوك جماعي وتواطؤ جمعي منظم وممنهج، كما جاء الحديث بألفاظ أخرى: «أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ- وفي رواية- دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٥]، أي: أن هذه الكلمات لم تخرج منهم على سبيل الصدفة، بل إنها كلمات رتبوها ومؤامرات حشدوا لها، وسلوك جمعي دنيء تربوا عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

(٣) كشف المشكل، لابن الجوزي (٤/ ٢٦٨).

(٤) أعلام الحديث (٣/ ٢١٧٦-٢١٧٧).

(٥) شرح السنة، للبغوي (١٢/ ٢٧١).

٩ النبي ﷺ يأخذ الحيطة والحذر من أي طعام يُقَدَّم له:

بعد فشل محاولة سمِّ النبي ﷺ في خيبر على يد اليهودية زينب بنت الحارث، اتخذ النبي ﷺ إجراءات أمنية مشددة نحو أي طعام يقدَّم له، من جهات غير مأمونة أو غير معلومة المصدر، فلا يبدأ بطعام أهدي له إلا بعد أن يأكل منه مضيفه، أخرج البزار في مسنده: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَأْكُلُ مِنْ هَدِيَّةٍ حَتَّى يَأْمَنَ صَاحِبَهَا أَوْ يَأْكُلَ، مِنْهَا لِلشَّاةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ لَهُ بِخَيْبَر» (١).

وذكر مثله ابن عساكر في تاريخه «كان رسول الله ﷺ لا يأكل الهدية حتى يأكل منها من أهداها إليه، بعد ما أهدت إليه المرأة الشاة المسمومة بخيبر» (٢).

ومن ذلك «أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَرْنَبٍ يُهْدِيهَا إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالَ: هَدِيَّةٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَأْكُلُ مِنَ الْهَدِيَّةِ حَتَّى يَأْمُرَ صَاحِبَهَا فَيَأْكُلُ مِنْهَا؛ مِنْ أَجْلِ الشَّاةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ بِخَيْبَرَ» (٣).

١٠ التحذير النبوي من أخبار اليهود:

اختصر النبي ﷺ طريق التعاطي مع ما يأتينا من أخبار أو روايات مصدرها اليهود المعروفون بإشاعة الكذب والأضاليل، ورسم لنا منهجًا دقيقًا، وحذَّر من أخبارهم بطريقة منصفة لا إفراط فيها ولا تفريط، كما روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أهل الكِتَابِ يَقْرَءُونَ

---

(١) أخرجه البزار (١٤١٣-البحر الزخار)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١): رواه البزار والطبراني، ورجال الطبراني ثقات.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/ ١٤٧ – ١٤٨).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٦٩).

التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لا تُصَدِّقُوا أهل الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا»** (١).

وكذلك الأخذ بالحيطة والحذر، والتوقف عما أُشكل من أخبارهم؛ حتى لا يقع المسلم بالحرج في نقله أخبار كاذبة مروجًا لها، وربما للشرك والبدع وهو لا يدري، ويظن أن ذلك من الدين، قال رسول الله ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» (٢).

قَالَ الْخطابِيُّ: «هَذَا الحَدِيث أصل فِي وجوب التَّوَقُّف عَمَّا يشكل من الْأُمُور، فَلَا يقْضِي عَلَيْهِ بِصِحَّة أَو بطلَان، وَلَا بتحليل وَتَحْرِيم» (٣).

١١ الرسول ﷺ يأمر بتعلم لغة يهود؛ حتى يأمن مكرهم:

وهذا ضرب من ضروب تحصين القيادة وأمانة سرها من أي اختراق معلوماتي يصبُّ في مصلحة العدو، وحسن اختيار الأفراد الأكفاء لهذه المهمة الحساسة والخطيرة جدًّا، وضمانة أمنية من الاختراق، وخاصة إذا علمنا أن اليهود في المدينة كانوا مهرة في تعلم كتابة اللغة العربية(٤)، كما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أهل الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا تُصَدِّقُوا أهل الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا** »(٥)، وقَالَ ﷺ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، لَقَدْ أُوتُوا عِلْمًا**» (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٠). (٣) أعلام الحديث (٣/ ١٨٠١).

(٤) فتوح البلدان، للبلاذري (ص٤٧٣). (٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي نملة (٦٢٥٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

واجههم النبي ﷺ بنفس الوسيلة والآلة التي يحاربون بها غيرهم، فكلَّف نفرًا من أصحابه من يحسن تأدية هذه المهمة على أحسن وجه، وفور وصوله المدينة اختار لهذه المهمة زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي يروي لنا كيف أن النبي ﷺ كلَّفه بهذه المهمة، فقالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: **إِنِّي- وَاللهِ- مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ**، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ» [(١)]، وفي رواية قال: «**إِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ**» [(٢)].

لم يكن اختيار زيد على أساس المحسوبيات القائمة على المصلحة الشخصية، إنما لتفوقه على غيره في إتقانه وسرعة حفظه وأمانته وحسن سيرته، فقد كُلِّف بما هو أصعب وأخطر من ذلك، من كتابة الوحي ونسخ المصحف الشريف زمن الخليفة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وغيرها من مهام أخرى بالغة الأهمية.

١٢ التحصين المجتمعي ضد الاختراقات اليهودية:

وهذا نوع من التحذير النبوي من اتباع مسالك اليهود وعاداتهم وتقاليدهم التي تخالف تعاليم الشرع، والتي تشكل اختراقًا مجتمعيًّا مسببًا للاختراق الأمني، وتهديدًا واضحًا لسمات الشخصية الإسلامية وتمايزها عن غيرها، وقد روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: **فَمَنْ؟!**» [(٣)]، وكان النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٦١٨)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

كثيرًا ما يأمر أصحابه في قوله: خالفوا اليهود، ومن ذلك قوله ﷺ: «**خالِفوا اليَهودَ، فإنَّهم لا يصلُّونَ في نعالِهم ولا خِفافِهم**»(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبِغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ**» (٢).

وكان رسول الله ﷺ يقوم في الجنازة حتى توضع في اللحد، فمر به حبر من اليهود فقال: هكذا نفعل، فجلس النبي ﷺ وقال: «**اجْلِسُوا، خَالِفُوهُم**» (٣).

وقد عرف يهود المدينة على عهد النبي ﷺ حرصه الشديد على تمايزه عنهم، حتى قالوا: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه» (٤).

وذلك لتنفرد الشخصية الإسلامية عن غيرها وتتمايز؛ لمكانة ما يحمل المسلم من عقيدة صافية وشريعة كاملة.

١٢ أولوية إكرام المسلم على اليهودي:

حرصت الشريعة الاسلامية على رفعة شأن المسلم وإكرامه؛ بسبب ما يحمله من هداية، ليتمايز عن غيره من المشركين والكافرين، وأن للمسلم الصدارة في كل شيء، في مكانه ومكانته، من غير ظلم ولا عدوان على الآخرين، فقد روى أبو هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**» (٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٢)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٧٦)، والترمذي (١٠٢٠)، وابن ماجه (١٥٤٥) من حديث عبادة بن الصامت، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٦٧).

والمراد بذلك: ألا تكون للكافر صدارة الطريق والأمكنة؛ لأن في ذلك تعظيمًا لهم وتصديرًا وتوجيبًا زائدًا لا يستحقونه، فلا يتنحى لهم، ويترك لهم أصل الطريق، ويسير على أطرافه أو الرديء منه، ولا يعني من ذلك التسبب لهم في الضرر والأذية في أجسادهم أو أموالهم.

وكل ذلك لأنهم ارتضوا الكفر دينًا ومنهجًا، لا يتخلصون من هذا التحقير ولا تُرفع وتُعزَّز مكانتهم إلا بالإسلام.

١٣ الحملات الإعلامية المضادة:

حاول اليهود- ومع أن جُلَّهم في كنف الدولة الإسلامية، إلا أن مشاريع التحريض بأنواعها تشتبك بمشروع النبي ﷺ بكل ما أوتيت من مكيدة، فالآلة الإعلامية لم تتوقف مذ أن برز نجم النبي ﷺ يقودها أبرز رجالات المشروع اليهودي- العبث بأمن المدينة وسكانها، ولا يفتأون يؤلبون الناس ضد قائدها محمد ﷺ، متمادين في الطعن به ورسالته وحرمات المسلمين وأعراضهم، وقد اتخذ النبي ﷺ ضدهم إجراءات صارمة قطع بها دابر الشرَّ، ومن هؤلاء:

- **كعب بن الأشرف**: وهو من أشراف اليهود وساداتهم، مكانته الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية عالية، سخَّر شعره لهجاء النبي ﷺ والطعن بالمسلمين والتشبيب بنسائهم، حتى قرَّر النبي ﷺ التخلص منه بعد متابعة لتحركاته وأقواله، يوم أن ذهب لقريش بعد بدرٍ محرضًا لهم، ومستنفرًا ضد النبي محمد ﷺ، فقد روى البخاري خبر مقتله، حينما قال النبي ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ» [١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ **أبو عَفَك اليهودي**: شيخ هرم من بني عمرو بن عوف له كلمة مسموعة، كان يحرِّض على رسول الله ﷺ، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ لِي بِهَذا الخَبِيثِ؟ فخرج له الصحابي سالم بن عمير، فقتله» (١).

○ **سلام ابن أبي الحُقيق (أبو رافع اليهودي)**: وكان ممن ألبَّ الأحزاب على النبي ﷺ، وكان كثير التحريض على رسول الله ﷺ، فبعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سريَّة بقيادة عبد الله بن عَتيك في حصن له، فأجهزوا عليه (٢).

○ **اليسير بن رزام اليهودي**: وقد بلغ رسولَ الله ﷺ أن اليسير بن رِزام ولَّاه اليهود أمرهم في خيبر بعد سلام بن أبي الحقيق، وقد أخذ في جمع يهود الشمال وتحريضهم على رسول الله ﷺ، وهو المحرض الأول لقبائل غطفان، وتحشيدها ضد رسول الله ﷺ، فبعث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سريَّة في ثلاثين راكبًا، عليهم عبد الله بن رواحة، فقتلوه (٣).

○ **شاس بن قيس**: وهو من يهود بني قينقاع، عظيم الحقد على المسلمين، يدفع شباب اليهود بين المسلمين لإثارة النعرات الجاهلية بين الأوس والخزرج، ويذكِّرهم بما كان بينهم في الجاهلية من حروب يوم بعاث، ومن شدة كيد اليهود للرسول ومع أنهم ليسوا وثنيين إلا أنهم كانوا يثنون على عبادة الأصنام أحيانًا كنوع من المضادة والتشويش الإعلامي على دعوة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٦/ ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٩٣).

أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦].

ولم تتوقف الآلة الاعلامية اليهودية وحلفاؤهم من تكذيب دعوة النبي ﷺ، مع معرفتهم الأكيدة بصفته ومكان مبعثه.

وقد اعتمدت الآلة الإعلامية اليهودية المضادة للمشروع النبوي على امتهان الكذب الذي هو سمة وسجيَّة غير منفكَّة عنهم، حتى أن كتابهم فضحهم وأقر ما هم فيه من كذب ملازم لهم «أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب»[١]، وجاء أيضًا: «شفاهكم تكلمت بالكذب، ولسانكم يلهج بالشر»[٢].

(١) إشعياء (٥٧/ ٤).

(٢) إشعياء (٥٩/ ٢-٧).

المراحل التي مرَّ بها اليهود في مجتمع المدينة

المرحلة الأولى: التعايش تحت دستور الدولة (١ هـ / ٦٢٢ م):

بمجرد وصول النبي ﷺ إلى المدينة، أدرك أن بناء دولة قوية ومستقرة يتطلب تنظيم العلاقة مع جميع مكونات المجتمع، بما في ذلك اليهود.

ومن هنا وضع رسول الله ﷺ وثيقة تاريخية تنظِّم العلاقات بين جميع الأطراف، وهي ما أُطلق عليه دستور المدينة، حيث اعترفت تلك الوثيقة بيهود كـ«أمة» لهم دينهم وللمسلمين دينهم.

وكانوا بموجب هذا التحالف الدفاعي يشكلون «أمة واحدة» من دون الناس، يتعاونون على الدفاع عن المدينة ضد أي عدوان خارجي، «وأن بينهم النصر على من دهَم يثرب»، كما تحقق في ذلك العهد العدل المالي بأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وجعل هذا الدستور رسول الله ﷺ المرجع الأعلى في حل النزاعات وقطع الخصومات.

وقد أظهرت تلك المرحلة أن الاستراتيجية النبوية بدأت بالإقرار والتعايش تحت مظلة دولة القانون؛ ما ينفي أي ادعاء بأن الصراع كان دينيًّا أو عرقيًّا منذ البداية، وكان الإسلام يمنحهم الأمان والحقوق في مقابل الولاء للدولة والالتزام بعهدها.

المرحلة الثانية: كشف الخيانة وبدء المواجهة (٢-٤ هـ):

وإذا نظرنا إلى الواقع في تلك الحقبة فإننا نجد أن القبائل اليهودية لم تلتزم بالعهد،

وبدلًا من أن يكونوا شركاء في بناء الدولة، رأوا في الإسلام والقوة الجديدة؛ تهديدًا لمصالحهم الاقتصادية ونفوذهم السياسي.

وقد تطورت الأحداث السياسية كما يلي:

بعد غزوة بدر (٢ هـ): كان انتصار المسلمين في بدر صدمة للجميع، وقد بدأ بنو قينقاع – وهم صاغة المدينة وتجارها– بإظهار الحسد والعداء، واستهزأوا بالمسلمين، وحاولوا إثارة الفتن، وكانت منهم الخيانة بأن خرقوا العهد بالتحريض والسخرية، ومحاولة تفكيك المجتمع الإسلامي.

وكان الرد النبوي حاسمًا بعد إنذار، حيث حاصرهم المسلمون حتى استسلموا، وكانت عقوبة تلك الخيانة إجلاؤهم عن المدينة ومصادرة أموالهم وأسلحتهم كغنائم؛ وبذلك كانت العقوبة – الطرد لا الإبادة – متناسبة مع حجم الخيانة.

أما بنو النضير (٤ هـ): فإنهم بعد غزوة أحد حاولوا اغتيال النبي ﷺ وهو في ديارهم، وتآمروا مع قريش على حرب المسلمين، وارتكبوا أعلى درجات الخيانة والعدوان المباشر على النبي ﷺ قائد الدولة!

فكان الرد النبوي العادل أن حاصرهم حتى استسلموا؛ ومن رحمة النبي ﷺ أن سمح لهم بمغادرة المدينة مع أمتعتهم، وما استطاعوا أن يحملوه على إبلهم، ومصادرة أسلحتهم وأراضيهم، وهذا يثبت مبدأ التدرج في الرد، حيث كانت عقوبتهم أقسى (مصادرة الأراضي بالإضافة إلى الطرد)، وبذلك انتقلت الاستراتيجية من التعايش إلى المواجهة الحازمة ضد الخائنين للعهد، فكان كل رد متناسبًا مع حجم الجريمة، ومسبوقًا بإنذار، ومصحوبًا بكشف الخيانة أمام الرأي العام لتبرير الرد.

المرحلة الثالثة: الحسم العسكري ضد الخيانة العظمى (٥ هـ):

كان بنو قريظة أقوى القبائل اليهودية وأكثرها حصانة، ولم يكن منهم إلا أن خانوا العهد علانية، وتحالفوا مع جيوش الأحزاب لمحاصرة المدينة وإبادة المسلمين، وكان موقفهم يهدد بقتل النساء والأطفال داخل المدينة، وبذلك واجه المسلمون في غزوة الأحزاب أخطر تهديد وجودي على دولتهم الناشئة بتحالف قريش وغطفان وغيرهم.

وهكذا جاء الرد النبوي الحاسم بعد انتهاء غزوة الخندق بانتصار المسلمين، حيث حاصر جيش المسلمون بني قريظة، وبعد حصار طويل نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس (حليفهم السابق).

وجاء حكم سعد موافقًا لحكم التوراة نفسه في مثل هذه الخيانة (سِفر التثنية) بقتل المحاربين وسبي النساء والذراري ومصادرة الأموال.

وكان في جدارة مشروعية هذا الرد أنه لم يصدر من النبي ﷺ فحسب، بل من حليفهم السابق- وفق شريعتهم- ما يقطع حجة الاعتراض، وكانت العقوبة متناسبة مع الجريمة؛ حيث كانت الخيانة عظمى، وكادت تقضي على الأمة بأكملها، فكان الرد حاسمًا وشاملًا؛ ليؤمِّن مستقبل الدولة الإسلامية.

وكان في ذلك الرد إرسال رسالة واضحة مفادها أن خيانة العهد العظمى في وقت الحرب لها ثمن باهظ، بما يردع أيَّ قوى أخرى عن التفكير في فعل الأمر نفسه.

وبعد هذه الأحداث انتهى وجود اليهود كجماعات سياسية وعسكرية داخل المدينة، وتم إجلاؤهم عنها إلى خارجها، وهو ما مثَّل نهاية تاريخية لعلاقة سياسية معقدة كانت قائمة على العهود، لكنها انتهت بالخيانة المتكررة.

المرحلة الرابعة: ما بعد الحسم - التوظيف الاقتصادي والسياسي (٥-١١ هـ):

بعد حسم أمر القبائل اليهودية الرئيسة في المدينة لم يعد وجودهم العسكري أو السياسي المباشر يشكل تهديدًا.

انتقلت الاستراتيجية النبوية إلى مرحلة جديدة، تركز على إعادة توزيع الموارد المصادرة، حيث تم توزيع أموال وأراضي بني النضير وبني قريظة وفقًا لمصالح الدولة الإسلامية الناشئة.

وخُصِّصت تلك الموارد لدعم الفقراء والمنقطعين من (أهل الصُّفَّة)، وتجهيز الجيوش، وتمويل الدعوة الإسلامية، جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

ثم كان تحييد البقية الباقية منهم؛ حيث بقيت بعض الجماعات اليهودية الأصغر حجمًا أو تلك التي لم تشترك في الخيانة الصريحة (كيهود خيبر).

وتم عقد معاهدات جديدة مع يهود خيبر وغيرهم، وبذلك تم وضعهم تحت سلطة الدولة الإسلامية يدفعون الجزية (نظير الحماية والمواطنة) مقابل حمايتهم وتركهم أحرارًا في دينهم وتجارتهم[١].

وقد أظهرت تلك المرحلة مرونة الاستراتيجية النبوية الحكيمة؛ فبعد تحييد خطرهم العسكري انتقل النبي ﷺ إلى توظيف مواردهم لصالح المشروع الإسلامي، من خلال إدماج من بقي منهم في الدولة كرعايا ذميين تحت سيادة الإسلام وحكمه؛ مما يحقق الاستقرار، ويحول طاقاتهم الاقتصادية لخدمة الدولة، بدلًا من أن تكون أداة للعدوان عليها.

---

(١) أحكام أهل الذمة (٣/ ١١٥٩-١١٦٠).

المرحلة الخامسة: تأمين الجبهة الداخلية والخارجية (حتى ١١ هـ):

مع توسع رقعة الدولة الإسلامية ظهرت تحركات لليهود خارج المدينة لمحاولة استئناف دورهم في التحريض، وإزاء ذلك كانت الاستراتيجية النبوية من خلال غزوة خيبر (٧ هـ)؛ حيث كانت خيبر معقل اليهود الرئيسي في الجزيرة العربية ومركزًا لاستفزاز القبائل وتحريضها على المسلمين؛ فقام النبي ﷺ بتحرير خيبر عسكريًّا، ولكنه لم يطردهم منها، بل تركهم يعملون في الأرض مقابل نصف إنتاجها من الثمار.

وفي الوقت ذاته وجَّه الرسول ﷺ المراسلات إلى الملوك والأمراء، مثل هرقل وملك فارس وغيرهم، داعيًا إياهم إلى الإسلام، وهذا يشير إلى أن الاستراتيجية أصبحت تركز على مواجهة المشاريع الكبرى وليس فقط القبائل المحلية، وكان التعامل مع الوفود اليهودية التي قدمت للتفاوض أو الدخول في معاهدات (كوفد يهود تيماء) وفق مبدأ «العدل ولو على النفس»، والوفاء بالعهود ما داموا يوفون بها.

عداء مستحكم:

لم يقف اليهود مكتوفي الأيدي أمام نجاحات النبي ﷺ وانتشار دعوته وتوسع نفوذه في الجزيرة العربية، فكان منهم كل محاولة تحول بينه وبين هذا التوسع والانتشار، من الدسيسة والتشكيك برسالة النبي ﷺ وصدقه، والتحريش بين المسلمين، ومحاولات عديدة لاغتيال النبي ﷺ وبطرق متعددة، وتأليب القبائل عليه، والتعريض إعلاميًّا بالمسلمين وأعراضهم.

التسلسل الاستراتيجي في مواجهة المشروع اليهودي

العدالة والوفاق:

فقد كان توثيق قتل أبرز المحرضين وإجلاء الجماعات المفسدة بقرار جماعي من المسلمين وبحكم عادل من أوثق حلفائهم (سعد بن معاذ في بني قريظة)، مع استمرار الحصار الإعلامي والاجتماعي والاقتصادي حتى إنهاء الخطر؛ وذلك تلبيةً لمقتضى المقاصد الشرعية؛ كما اعتمد النبي ﷺ في البداية على سياسة العدل والوفاق المشروط بالعقود، وذلك استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]؛ كما استشهد النبي ﷺ بآيات الإسراء التي تتنبأ بفساد بني إسرائيل وتحذِّر من علوهم: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤].

وكانت جميع العلاقات مع اليهود منظَّمة بمعاهدات واضحة ومكتوبة تشرح الحقوق والواجبات، وتحدِّد العقوبات عند الخيانة، ويؤخذ على كل طرف الوفاء التام بالميثاق، وإلا يُحاسب على نقضه.

التعايش والنهج السلمي أولًا:

عند الهجرة إلى المدينة، أسس النبي ﷺ وثيقة المدينة التي شملت جماعات من اليهود، ودعت للتعايش وفق مبادئ العدل الإسلامي، ومنحِهم الذمَّة كأهل كتاب، وضمنت لهم حقوقهم حال التزامهم بالعهود، وهذا يبرهن على رغبة النبي ﷺ في تجنب الصدام المباشر، وإرساء الاستقرار المجتمعي العام.

الرد الحازم بعد الخيانة:

بعد تكرار المؤامرات والخيانة (كالتحالف مع قريش ومشركي الأحزاب، ومحاولة قتل النبي، وإثارة الفتن بين المسلمين)، انتقل النبي ﷺ إلى سياسة الردع والحزم، حيث أمر النبي ﷺ بعمليات استئصال العناصر المفسدة عبر الاغتيالات لأبرز المحرضين مثل كعب بن الأشرف وأبي رافع.

فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[1]، معلنًا حسم التواجد اليهودي بعد استنفاذ فرص التعايش.

تصعيد المواجهة العسكرية:

وذلك عبر سلسلة الغزوات، حين تحولت الخيانة إلى تهديد وجودي للدولة الإسلامية، وكانت كل غزوة نتيجة خيانة يهودية جديدة، وأدلة وقوعها موثقة في كتب السيرة، فقد تعامل النبي ﷺ مع كل حادثة برد استراتيجي متدرج، يبدأ بالإنذار وينتهي بالحسم.

مراحل العداء اليهودي وفق التسلسل الزمني والمنهج النبوي في التصدي له:

❑ غزوة بدر الكبرى (٢ هـ):

كانت أصداء ظفر النبي في بدر شديدة على اليهود، بالإضافة إلى غيرهم من المشركين والمنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَي بن سلول، كما أن يهود بني قينقاع أظهروا عداوتهم لرسول الله ﷺ لما انتصر المسلمون في بدر الكبرى.

حتى إن النبي ﷺ جمعهم في سوق قينقاع، «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٧١)، والبيهقي في الكبرى (١٨٧٨٥).

أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا !»[١].

كانت غزوة بدر سببًا رئيسًا في تحطيم السَّرديَّة اليهودية، فقد ظهرت قوة منهج النبي ﷺ، وقوة شوكته، ودخول الناس في الإسلام، وتلاشت السَّرديَّة اليهودية التي اغترَّ بها المشركون، ولم يعد لها بريق كما كانت قبل بعثة النبي ﷺ.

❑ اغتيال أبي عَفَك اليهودي:

سرية قتل اليهودي أبي عَفَك من يهود خيبر، وقيل: من يهود المدينة من بني عمر بن عوف، كان شيخًا كبيرًا بلغ مائة وعشرين سنة، وكان يحرِّض بشِعره على الرسول ﷺ، وبعد رجوع الرسول ﷺ من بدر (٢هـ) خرج سالم بن عمير الأنصاري من بني النجار، بعد أن نذر أن يقتل أبا عفك، فخرج إليه في ليلة صائفة، فأقبل عليه سالم وأبو عفك نائم بين أهله، فوضع السيف على كبده حتى قتله[٢].

❑ غزوة بني قينقاع (٢هـ):

يُعَدُّ يهود بني قينقاع أشجعَ يهود المدينة، لدرجة أن عبد الله بن أُبَي بن سلول رأس المنافقين كان يفتخر بشجاعتهم[٣]، وكانوا أكثر اليهود شرًّا وعددًا وعدة، وكانوا معروفين بالثراء مشهورين بإقراض الأوس والخزرج بالربا، حتى أثقلوا كواهلهم، وتميزوا بحرفة صياغة الحلي بأنواعه، ولهم سوق يحمل اسمهم، وكان زيد بن اللصيت اليهودي ممن تصدروا مواجهة النبي ﷺ[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٣٥).

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥١٤).

وعلى الرغم من ذلك فقد كان النبي ﷺ حريصًا على تطبيق بنود المعاهدة التي كانت بينه وبين بني قينقاع، لكن بدا منهم ما يخالف هذه المعاهدة، ومن ذلك ما فعله شاس بن قيس شيخًا يهوديًّا هرمًا عظيم الحقد على المسلمين وقد غاظه ائتلاف الأوس والخزرج، فأمر شابًّا من يهود، وقال له: اعمد إليهم، وذكِّرهم بيوم بعاث، وهي حرب كانت بين الأوس والخزرج في جاهليتهم.

وفي سوق بني قينقاع عقد أحد اليهود طرف ثوب امرأة مسلمة، فلما قامت انكشفت، فصاحت، فقام أحد المسلمين، فقتل اليهودي وتواثب اليهود، فقتلوا المسلم [(١)].

كان يهود بني قينقاع أول من نقض عهده مع رسول الله ﷺ، وكانوا أشر يهود، وحاربهم الرسول ﷺ فيما بين بدر وأُحُد، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] [(٢)].

فلما ظهر أمرهم وفشا فسادهم جمعهم النبي ﷺ في سوقهم ووعظهم وحذَّرهم، وقال لهم: «**يَا مَعْشَرَ يَهُود، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**- لكنهم زادوا في غطرستهم وأجابوه:- لا يغرنَّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال»[(٣)]، فكان جوابهم وأعمالهم العدوانية بمثابة إظهار العداوة وإعلان الحرب.

ففي السنة الثانية من شهر شوال أجلى النبي ﷺ يهود بني قينقاع بعد حصار دام خمسة عشر ليلة حتى أذعنوا، ثم كان منهم التسليم، ثم أجلاهم النبي ﷺ إلى أذرعات الشام -

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٣٤) رواية مشهورة، لكن في سندها انقطاع.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٩).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٣).

درعا- [١]، غير أن الواقدي يذكر أنهم رحلوا إلى إخوانهم من اليهود في وادي القرى، ثم بعد ذلك رحلوا إلى الشام [٢].

هذا الحدث لم يكن سهلًا بالنسبة لباقي اليهود، فقد شكَّل لهم في أنفسهم صدمة، وساء به وجوههم، وحطم كبرياءهم، فكيف بهم أن يُهانُوا هذه الإهانة وهم حملة كتاب مقدس فيه تقديسهم كشعب مبارك، ومقدَّس-زعموا- على غيرهم من شعوب الأرض، وفي المقابل رفعت هذه المعركة رصيد المسلمين، وزادت في هيبتهم، وكانت سببًا في إسلام آخرين.

❑ قتل كعب بن الأشرف (٣ هـ):

وكان من أشد اليهود حقدًا على النبي ﷺ ودعوته، وهو من قبيلة طيئ، وأمه من بني النضير، غنيًّا مترفًا شاعرًا جميلًا، له حصن في جنوب شرق المدينة، لم ينفكَّ عن هجو النبي ﷺ في أشعاره [٣]، كان له نفوذ ولسان سليط لم تسلم منه أعراض المسلمين.

أغاظه انتصار النبي ﷺ في بدر، «فسافر إلى مكة محرضًا قريش، حتى قال: والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خير من ظهرها، حتى زاد في عداوة النبي ﷺ وهجائه، حينئذ قال النبي ﷺ: **مَنْ لِكَعْبٍ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**، فقام محمد بن مسلمة وكان من الأوس، فقال: أنا يا رسول الله، قال: فأذن لي أن أقول شيئًا، قال: **قُلْ**، فأتاه محمد ابن مسلمة فأجهز عليه» [٤].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٣٤).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ١٨٠).
(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٣).
(٤) أخرجه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كانت عملية فدائية جريئة تم تنفيذها بعد غزوة بدر، فأصبح اليهود مذعورين، وبدأوا في إعادة حساباتهم تجاه النبي ﷺ وجرأته في القضاء على أحد سادتهم، فجاءوا النبي ﷺ، فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكَّرهم النبي ﷺ صنيعه، فكتبوا بعد ذلك صلحًا.

كان مقتل كعب إعلان حرب رسمية ضد بني النضير، وحدثًا مفصليًّا بالنسبة للمشروع اليهودي بعامة في المدينة وخارجها.

فكعب أحد قادة بني النضير ومنظريهم، فكان التخلص منه إضعافًا لشوكتهم، وواجب المرحلة لحماية الجبهة الداخلية لدولة الإسلام، وربما عقابًا لهم لعدم مشاركتهم المسلمين مواجهة قريش في غزوة أحد.

❑ **غزوة أحد (٣هـ):**

في شوال من السنة ٣ هـ خرج حينها قائد المشركين أبو سفيان ومن معه من قبائل بحدِّهم وحديدهم، وخرج الرسول ﷺ ومعه ألف من أصحابه، وممن كان معه عبد الله بن أُبَي، فلما وصل النبي ﷺ الشوط بين المدينة وأُحُد صدع قول المنافقين بقيادة عبد الله بن أُبي: علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟! فرجع بثلث الجيش من أهل النفاق والريب [١].

علم أنه منصور ليس بالعدة والعدد، بل بأهل الايمان، فخروج المنافقين فيه خير كبير وتطهير للجيش منهم؛ لذلك لما أراد بعض اليهود من حلفاء عبد الله بن أُبي أن يلتحق بجيش المسلمين رفض النبي ﷺ، فقال: لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك [٢].

أدرك النبي ﷺ بحسه الأمني أن وجود اليهود بين صفوفه في هذه المعركة لن يكون في مصلحته؛ لذلك أكد مرة أخرى رفضه التحاق اليهود بجيشه لما سأله الأنصار، كما جاء

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٤) وما بعدها(٢) إمتاع الأسماع، للمقريزي (١/ ١٣).

في سيرة ابن هشام، وقالوا له: ألا تستعين بحلفائنا من اليهود؟ فقال النبي: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**»[١].

مع أن غزوة أُحُد كانت بين النبي ﷺ والمشركين، إلا أن لليهود فيها دورًا خفيًّا، وربما كانوا سببًا رئيسًا في هزيمة المسلمين في أول المعركة، كما نقل ذلك بعض علماء السِّير في ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، ثم قال:" وكانوا زعموا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد في قتال رسول الله ﷺ، فحضوهم على القتال، ودلُّوهم على العورة»[٢].

وهكذا لم يكتف اليهود بمراقبة الحراك أثناء غزوة أُحُد بين الرسول ﷺ والمشركين، بل حرصوا على تحسُّس نقاط الضعف التي ظهرت فجأة أثناء المعركة، حينما تخلى رماة المسلمين عن تموضعهم على جبل الرماة، وخالفوا بذلك أمر نبيهم ﷺ، فانكشف ظهر جند المسلمين فالتف عليهم المشركون بقيادة أبي سفيان بن حرب وبتوصية من اليهود، لكن النتائج الإيجابية التي حصل عليها المسلمون في نهاية المعركة أثارت اليهود، وجددت القلق حول تنامي هذا المشروع الإسلامي.

كما حاولوا أن يفتُّوا من عزيمة المسلمين والمقبلين على المشروع الإسلامي، ساعين بكل ما أوتوا من قوة أن يزعزعوا الإيمان في ضمير أصحاب النبي ﷺ، ذكر الواقدي شكلًا من أشكال ذلك في مغازيه، قالوا: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب نبي هكذا، وقالوا لأصحاب النبي ﷺ: لو كان من قُتل منكم عندنا ما قُتل، حتى بادر عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ يستأذنه ليقتل من قال ذلك من اليهود والمنافقين[٣].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٦٤).
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣١٧-٣١٨).

❑ غزوة بني النضير (٤هـ):

كانت غزوة بني النضير بعد غزوة أحد (٣ هـ)؛ حينما قام سيد بني النضير سلام بن مشكم اليهودي بالوقوف مع المشرك أبي سفيان بن حرب وسيد قريش وقائدها؛ حينما نذر أبو سفيان بعد غزوة بدر أن لا يمسَّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا [١].

كانت لليهود تحركات ميدانية وتواصل مستمر مع أهل مكة والمنافقين في المدينة، يكيدون جميعًا للنبي ﷺ، لا يفوِّتون الفرصة لينقضوا عليه منفردين أو مجتمعين، كانت تصرفاتهم تحت المراقبة علهم يهتدون أو يرتدعون بغيرهم، يجمِّلهم صبر النبي ﷺ عليهم.

لقد تصدى نفرٌ للنبي ﷺ، منهم: حيي بن أخطب، وأخواه أبو ياسر بن أخطب، وجدي ابن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع الأعور، وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طيء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكردم بن قيس، حليف كعب ابن الأشرف، فهؤلاء من بني النضير [٢].

حينما نتأمل حال اليهود في مواجهة النبي ﷺ عسكريًّا نجد أنهم بالجملة لم يكونوا أصحاب حرب ومواجهة عسكرية؛ بل أصحاب دسٍّ ومؤامرة والعمل بالظل؛ لأن ذلك يرفع عنهم خطورة المواجهات العسكرية وتبعاتها، وقد بيَّن المولى صفة الجبن فيهم، فقال: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٣-٢٨٤).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥١٤).

﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]؛ لذا نجدهم خنسوا بعد غزوة بني قينقاع ومقتل كعب بن الأشرف.

أدرك الرسول ﷺ أنه بحاجة إلى استئصال فئة الشر وانتزاعها كليًّا من محيطه، والتي هي وراء كثير من الأحداث والمخاطر المحدقة بمشروعه، لكن التَّريُّث وعدم استعجال الأمور قبل نضوجها كان هو السِّياسة المتبعة في التخلص من خصوم الدعوة.

لم يتوقف مكر يهود بني النَّضير عند هذا الحد من الممارسات ضد الرسول ﷺ، وبدأت ترفع من مستوى تعدياتها بعد فترة من الهدوء تلت غزوة بني قينقاع ومقتل كعب بن الأشرف، لكنها تمادت وتجاوزت الخطوط الحمراء، إلى ما هو أخطر من ذلك، وهو التعدي المباشر على ذات الرسول ﷺ، ومحاولة قتله والتخلص منه في محاولة خبيثة فاشلة.

في أعقاب حادثة بئر معونة جلس النبي ﷺ إلى جدار لبني النَّضير ومعه بعض الصحابة، فهَمُّوا بإلقاء حجر عليه لقتله، فأخبره الوحي، فترك مكانه إلى المدينة وأَمر بالتهيؤ لحربهم[١]، ولم تكن هذه المؤامرة من قبيل الأعمال الفردية، بل كانت عملاً جماعيًّا مدبَّرًا بكل دقة موزعة فيها المهام.

يؤكِّد الواقدي أن جريمتهم كانت عملًا جماعيًّا، فقال: «اتفقوا على إلقاء صخرة عليه من فوق جدار» [٢]، وتطوَّع لهذه المهمة المشؤومة اليهودي عمرو بن جحاشي بتحريض من يهود، وعلى رأسهم حيي بن أخطب وغيره من ساداتهم؛ لكن الله تعالى حفظه وسلَّمه من مكرهم بإخبار الوحي له، كما وعد ربه بحفظه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢ / ١٩٠). (٢) الواقدي (١/ ٣٦٥).

حينها بعث النبيُّ محمدَ بنَ مسلمةَ إلى بني النَّضير يأمرهم قائلًا لهم: اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجَّلتكم عشرًا، فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه.

لكن كان جواب كبيرهم حيي بن أخطب: لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، وقد تمنَّع حيي بسبب ما كان يدسُّه رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ورهطه، ومنهم مالك ابن أبي قوقل، وسويد، وداعس، فهؤلاء كانوا يدسُّون إلى بني النَّضير حين حاصرهم رسول الله ﷺ: أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم، ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا، وإن قوتلتم لننصرنكم، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر:١١]، [(١)].

كان اليهود ظهرًا للمنافقين في كل زمان ومكان، سندهم وترياقهم، يرون خروجهم فيه نكبة لهم، فقد استوحش عبد الله بن أُبي بعد إجلاء بني النضير من المدينة، فوجد نفسه فيها غريبًا [(٢)].

وطلب بنو النضير من بني قريظة أن ينجدوهم، فلم يفعلوا، وصرح زعيم بني قريظة أنه لا يريد أن ينقض حلفه مع الأنصار [(٣)].

انقضت الفترة، ولم يخرجوا، فضرب عليهم النبي ﷺ الحصار مدَّة خمسة عشر يومًا، والتجأ القوم إلى حصونهم يرمون النبي بالحجارة والنَّبل، ولما تمنَّعوا أثناء حصارهم قطَّع نخلهم، وحرَّق بساتينهم، كما أخبر عن ذلك الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ [الحشر:٥].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥٢٦)، الواقدي (١/ ٣٦٣).

(٢) ١٤٥) مغازي الواقدي (١/ ١٧٦).

(٣) ١٤٦) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٠-٣٧١).

والحقيقة أنهم كانوا على قدر من القوة، لكن مواجهتهم كانت مما لا بد منه، فبقاؤهم بين ظهراني المسلمين خطر متحقق سيعاني منه النبي ﷺ كل لحظة، مترقبًا منهم الخيانة كل حين، والمرحلة بالنسبة للمسلمين حرجة، فالتحديات خطيرة للغاية، وتحيط به من كل جانب، فكان إصرار النبي ﷺ على منازلتهم والتخلص منهم أمرًا لا بد منه.

لم يدم صبرهم على الحصار كثيرًا، وأدركوا أنه لا مفر من النبي ﷺ إلا الإذعان إليه، فسألوه أن يكف دماءهم، ويجليهم عن المدينة.

لكن الله منجز وعده رسوله ﷺ، فقذف في قلوبهم الرُّعب، فاستسلموا وألقوا سلاحهم، وأخرجوا معهم نساءهم وذراريهم، وما حملت الإبل على ستمائة بعير عليها أبواب بيوتهم وخشبها يخربونها بأيديهم، وقد خرج حينها معهم من تهوَّد من أبناء الأنصار إلا رجلين منهما أسلما، وأحرزا أموالهما: يامين ابن عمير، وأبو سعد بن وهب [(١)].

رحلوا إلى خيبر مع أبرز كبرائهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة ابن الربيع، ومنهم من خرج إلى أذرعات في الشام، فأنزل الله تعالى فيهم سورة الحشر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ [الحشر:٢]، أو كما قال ابن عباس عنها: «سورة النَّضير»[(٢)]، وكان ذلك أول حشر الناس إلى الشام.

❑ غزوة الخندق أو الأحزاب (٥هـ):

وهي أكبر وأخطر مواجهة وتحالف إقليمي تعرَّض له المسلمون في دولتهم الناشئة، فالمشركون احتشدوا خلف الخندق شمال المدينة ضد الرسول ﷺ بحدِّهم وحديدهم، بقوام عشرة آلاف مقاتل من قبائل شتى، وما تبقى من تجمعات يهودية جنوب المدينة،

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١٩٢). (٢) أخرجه البخاري (٤٠٢٩).

وتحديدًا بني قريظة التي تتربص بالمسلمين، وفي قلبها الأمة المؤمنة، يخترقها نفر من المنافقين، يكيدونهم، لا يعلمونهم، الله يعلمهم.

وسُمِّيت بالأحزاب؛ لأن اليهود ممن تحزَّبوا وحزَّبوا الناس ضد المسلمين، وبعد إجلاء الرسول ﷺ ليهود بني النَّضير من المدينة، لجأ بعض زعمائهم إلى خيبر، وفيها بدأوا اتصالاتهم بقريش والقبائل الأخرى لتأليبهم ضد الرسول ﷺ، فخرج منهم إلى مكة عشرون رجلًا من زعماء وسادات بني النضير إلى قريش بجولة مكوكيَّة عاجلة للتأليب والتحزيب ضد دولة الرسول ﷺ، وكان على رأس الوفد سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري ووعدوا قريشًا بالقتال معهم، ودعمًا لوجستيًّا إن هم قاتلوا الرسول ﷺ، وقالوا لهم: إنَّ شرككم خير من دين محمد، وعنهم أخبر الله تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١]، بمكة يحرِّضونهم على الرسول ﷺ ووعدوهم النصر، ثم توجهوا على الفور بعد خروجهم من مكة إلى نجد، حيث قبيلة غطفان، فحالفوها لمحاربة النبي ﷺ، حتى إنهم وعدوها نصف تمر خيبر لمدة سنة كاملة لإغرائها بالمشاركة بالتحالف [١]، فاستجابت لهم غطفان، ثم توجهوا إلى قبائل العرب الأخرى.

غفل اليهود بعد تأليبهم ضد دعوة الرسول ﷺ التوحيدية واصطفافهم مع الوثنيين أن في ذلك سببًا في تقويض دعوتهم وكذب دعواهم؛ فلما علموا بتجهز أبي سفيان للحرب اضطر النبي ﷺ لحماية داخل المدينة المنورة من اليهود والمنافقين، بتسيير دوريات

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٦٤٢).

تجوبها، مستعرضة قوة المسلمين وجاهزيتهم، فكان على رأس هذه الدوريات سلمة بن أسلم الأوسي يقود مائتي رجل، وزيد بن حارثة يقود ثلاثمائة رجل يجهرون بالتكبير؛ حماية للنساء والأطفال [١].

أما في جنوب المدينة فلم يبق من اليهود بعد التخلص من يهود بني قينقاع وبني النضير سوى بني قريظة، وكان بينه وبينها عهد، وكان المتوقع والمفروض عليهم الوقوف إلى جانب النبي ﷺ ضد الأحزاب بحكم ما تعاهدوا عليه.

لكن سرعان ما نقضت قريظة عهدها مع النبي ﷺ أثناء حصار الأحزاب؛ حينما انطلق إليهم حيي بن أخطب النضري، حتى أتى دار كبيرهم كعب بن أسد القرظي، وكان قد عاهد النبي ﷺ أن ينصره إذا هوجم، فلم يزل به حتى أقنعه، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين الرسول ﷺ [٢].

وحتى يجنب غطفان الاصطفاف مع الأحزاب حيَّدها لصالحه، فأرسل إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان- وأسلما بعد ذلك- فلما جاءا في عشرة من قومهما قال لهما رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمَا إِنْ جَعَلْتُ لَكُمَا ثُلُثَ تَمْرِ المَدِينَةِ، أَتَرْجِعَانِ بِمَنْ مَعَكُمَا، وَتُخَذِّلَانِ بَيْنَ الأَعْرَابِ؟**»[٣]، وكاد النبي ﷺ أن يضطر لمصالحتها على ثلث ثمار المدينة، لكن الصحابة اعترضوا على ذلك، فنزل النبي ﷺ عند رأيهم؛ حينها زُلزلت قلوب المنافقين وضعاف الإيمان، كما أخبر عنهم المولى سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢].

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٤٦٠).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٤٥٦).
(٣) سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٤/ ٣٧٦).

وكان خوف المسلمين من بني قريظة أشد من خوفهم من المشركين؛ لأنه لا حاجز بينهم، وكان النبي ﷺ يخشى على أصحابه ويأمرهم بتوخي الحذر في المدينة والبقاء على حمل السلاح، جاء في حديث مسلم «أن شابًّا حديث عهد بعرس حين خرج النبي ﷺ إلى الخندق، كان يستأذن النبي ﷺ أنصاف النهار، فقال له الرسول ﷺ: **خُذ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**»(١).

وجاء في بعض المصادر أن اليهود حاولوا اختراق حرمة المسلمين في بيضتهم، كما ذكر الطبراني في المعجم «أن اليهود جاءوا إلى أطم فيه نساء النبي ﷺ، لكن الله تعالى سلمهم من شر يهود»(٢).

كان الموقف عصيبًا، فقد اجتمعت وتوحدت على دولة الإسلام كل ملل الكفر في حرب إقليمية خطيرة، ليضربوه عن قوس واحدة، محاولين إجهاض المشروع في مكانه، فإن تمكنوا من ذلك لن تقوم للإسلام قائمة، أو ربما سيتراجع إلى مرحلة شبيهة بالمرحلة السريَّة كما في مكة أول مراحل الدعوة، أو ربما أسوأ من ذلك.

نعم، هو جمعٌ لم يكن مثله ضد دولة الرسول ﷺ، ومع هذا ليس له قيادة مركزية ولا فكرة منهجية تجمعهم ضد الرسول ﷺ ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤].

لكن مع عظم المخاطر وإحاطتها من كل جانب، يأتي الفرج من حيث لا يحتسب المرء وبأقل الأسباب، وهو الجندي المجهول نعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلم حينها وجاء إلى النبي ﷺ يعرض خدماته، فقال له النبي ﷺ: «**خَذِّل عنَّا إن استطعتَ؛ فَإِنَّ الحَرْبَ خَدعَةٌ**»(٣)،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧٥٤) من حديث صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٢٩).

فأتى بني قريظة وقريش وغطفان وخذَّل بينهم عن النبي ﷺ؛ ظنًّا منهم أنه لا زال على كفره، ولم يعلموا أنه يعمل لحساب المسلمين، فكان لنعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتخذيله دور أساس بالظفَر في المعركة، وانتصار المسلمين في هذه اللحظات الحاسمة والحساسة.

ومن أسباب انتصارهم أن الله أمدهم بجند السماء من ريح وملائكة يقاتلون معهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩]، بعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم [١].

ولما كان الظَّفَر حليف المسلمين ومن غير قتال يذكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥] كانت معركة الأحزاب فاصلة بين استراتيجيتين للنبي ﷺ، فبعد الغزوة تغيرت استراتيجية النبي ﷺ من دفاعية إلى هجومية، في قوله ﷺ: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**» [٢].

خرج المسلمون من عنق الزجاجة، فكانت المعركة فتحًا جديدًا، فبعد أن ظن الناس أنها مُهلكتهم، كانت سببًا في تقوية بأسهم، ونصرًا مؤزرًا وفتحًا مبينًا أسست لمرحلة جديدة لمشروع النبي ﷺ.

❑ غزوة بني قريظة عام (٥ هـ):

قبل غزوة الأحزاب استمرت قريظة فترة من الزمن على العهد مع رسول الله ﷺ، وكانت آخر يهود المدينة نقضًا للعهد وإظهارًا لعداوته، حتى واتتها فرصة وقعة الأحزاب.

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أظن أن بني قريظة لم يكونوا متحمسين جدًّا لمواجهة الرسول ﷺ لاعتبارات، منها: أنهم قلة لا يزيدون عن سبعمائة [١]، وأقل بأسًا في الحرب بالنسبة لغيرهم من اليهود الآخرين، وكانت زروعهم تشغلهم عن غيرها، وكانوا ملتزمين نسبيًّا بالمعاهدة التي بينهم وبين النبي ﷺ.

لهذا لما علم النبي ﷺ بتحشيد الأحزاب له لم يبادر يهود بني قريظة بالتخلص منهم قبل معركة الأحزاب؛ ليؤمِّن الجبهة الجنوبية.

ولما جاءهم حييُّ بن أخطب يوم الأحزاب يدعوهم لنقض عهدهم مع النبي ﷺ ويلح عليهم، كان جواب كعب بن أسد سيد قريظة «يا حيي بن أخطب، جئتني- والله- بذلِّ الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء، وويحك فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء، فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتل له في الذروة والغارب حتى سمح بما طلب، وأعطاه عهدًا وميثاقًا....»[٢].

لم تنقض قريظة عهدها مع الرسول ﷺ فحسب؛ بل قدَّمت الدعم المادي للأحزاب؛ ذلك أن طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتًا منهم بالمدينة، فصادفوا عشرين بعيرًا لقريش محملة شعيرًا وتمرًا وتبنًا، حملها ذلك حيي بن أخطب شدادًا وتقوية لقريش، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فتوسع بها أهل الخندق [٣]، وأصبحت غنيمة بيد رسول الله ﷺ.

كان من رؤوسها الذين تصدروا مشهد مواجهة النبي ﷺ: الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شمويل، وكعب بن أسد، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٤١).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٢١).
(٣) السيرة الحلبية (٢/ ٤٣٢).

الأحزاب، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينة، والنحام بن زيد، وقردم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا [١].

وبسبب نقض قريظة العهد مع الرسول ﷺ لما كان محاصرًا من الأحزاب، كان الأمر الرباني بقتالهم يحمله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رسول الله ﷺ مباشرة بعد غزوة الأحزاب بساعات[٢] أو ربما بعد يوم على الأكثر، إن جريرة خيانتهم للرسول ﷺ في وقت محنته عجَّلت عقوبة الله لهم، وسرَّعت تخليص المسلمين من شرِّهم وكيدهم وإنهاء وجودهم.

وأما سرعة الأمر الرباني بقتالهم فكان بمثابة إعلان حالة طوارئ أتى بها جبريل معجَّلة من السماء، تروي لنا السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كيف أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح واغتسل، قالت: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلَاحَ! فَوَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **فَأَيْنَ**؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ» [٣].

ومن شدة حرص النبي ﷺ على تلبية الأمر الذي جاء به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على وجه السرعة نادى في أصحابه قائلًا: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» [٤].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥١٥).

(٢) لأن في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤١١٩) أن النَّبِيَّ ﷺ قال يَومَ الأحزاب: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ»، وهذا دليل أن جبريل جاءه على الفور يوم الأحزاب.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٣)، ومسلم (١٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفورًا أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع نفر من فرسان المسلمين يستطلعون الطريق، فلما وصلوا إليهم سبَّوا النبي ﷺ وأزواجه؛ إمعانًا من اليهود في عداوة النبي ﷺ واحتقاره.

تسابق الصحابة إلى بني قريظة تلبية لنداء النبي ﷺ حتى وصلوها على دفعات، ومن حرص النبي ﷺ على هدايتهم لم يبدأ قتالهم حتى دعاهم للإسلام.

وأعطى الرَّايةَ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، على ستة وثلاثين فرسًا، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة أو القعدة، وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وحين ملُّوا الحصار ونصره الله عليهم أرسلوا نباش بن قيس إلى رسول الله ﷺ لينزلوا على ما نزلت عليه بنو النَّضير، وطلبوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاهم سعد وقال لهم: «فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ»(١).

كانت غزوة الأحزاب سببًا من أسباب كشف وتعرية بني قريظة وغيرهم من المنافقين، وكان قرار الخلاص منهم أمرًا ربانيًّا أتى به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي ﷺ فور معركة الأحزاب، لما قال له جبريل: والله ما وضعنا السلاح، مستنكرًا وآمرًا النبي ﷺ بعدم التأخر في المواجهة العسكرية ضد بني قريظة، وجيء برئيس بنى قريظة ورأس الفتنة فيها حيي بن أخطب، فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه؛ لأنه كان المحرِّض الرئيس لبني قريظة على نقض العهد.

ثم نفذ حكم الإعدام في أربعمائة من الرجال والبالغين، وامرأة واحدة، وإن يهود

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٢٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

كانوا يرسلونهم طائفة تلو الأخرى، وأسلم منهم نفر قليل، أربعة من اليهود لم يكونوا من بني قريظة، وكانوا من بني هدل، وهي من البطون العربية التي تهودت، بقي منهم ثلاثة في المدينة، ورابعهم خرج منها، ولم يدر أحد أين ذهب [١]، وقد منَّ على بعضهم، وقسَم المغانم من أموال وأراض ونساء، وذراري.

ويذكر الواقدي أنهم وقبل إعدامهم قضوا ليلهم يقرأون في كتاب الزبور يتعاهدون نصرة دينهم [٢]، لكن ابن هشام يذكر أن كعب بن أسد زعيم بني قريظة اقترح عليهم قبل خروجهم من آطامهم أن يعتنقوا الإسلام، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم، فقالوا: لا نفارق التوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره [٣].

نلاحظ أن النبي ﷺ لم يعمم العداء على كل اليهود، ولم يكن يأخذ أحدًا بجريرة الآخر، فلم يعاقب بني قريظة على جريرة بني النضير، ولا بني النضير على ما اقترفه بني قينقاع.

هكذا وبعد القضاء على آخر خطر يهودي في المدينة المنورة المتمثل في بني قريظة تكون المدينة قد خلت من الأخطار الداخلية.

أما المنافقون فقد خفت صوتهم وسكنت تحركاتهم، فلم يعد لهم سند من اليهود، ولا هي البيئة المناسبة لحراكهم فيها، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ [الأحزاب:٢٥].

لقد أنعم الله على الأمة المسلمة في المدينة أن تعيش هانئة بعيدة عن مكر اليهود،

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٣٨).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ٨٨).
(٣) سبيل الهدى والرشاد (٥/ ٧).

منذ أن أخرجهم الرسول ﷺ منها إلى يومنا هذا، كل ذلك بفضل الله ثم جهاد الرسول ﷺ وصحابته الكرام والأجيال التي حافظت على هذا الميراث النبوي ذي الأبعاد الأمنية والاستراتيجية.

❑ **صلح الحديبية سنة (٦ هـ):**

في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة عُقد عهد واتفاق بين المسلمين وقريش قرب موضع يقال له: الحديبية قبيل مكة؛ حيث رأى رسول الله ﷺ في منامه أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأنهم يطوفون بالبيت.

خرج النبي ﷺ في ألف وأربعمائة مسلم، ومعه زوجه أم سلمة متجهين إلى مكة لقضاء أول عمرة لهم بعد الهجرة، حمل النبي ﷺ ومن معه السلاح توقعًا لشر قريش، جاءت الأخبار لمنع قريش المسلمين من دخول مكة؛ لكن بعد مفاوضات جرت بين الطرفين تم الاتفاق على صلح يقضي بأن تكون هناك هدنة مدة عشر سنوات، وأن يرجع المسلمون بلا عمرة إلى العام القادم، وبنود أخرى جاءت في هذا الصلح.

ما يهمنا في هذا الصلح السبب الذي جعل قريش تلين في جانبها مع النبي ﷺ وترضخ ولو جزئيًّا في بعض بنوده، وهل لليهود علاقة مباشرة أو غير مباشرة في هذا الصلح؟

لا شك أن الانتصارات التي حققها النبي ﷺ على اليهود ألقت بظلالها على العلاقة مع قريش، التي لم تكن تقف مكتوفة الأيدي طوال مراحل صراع النبي ﷺ مع اليهود، فكانت قريش تقف معهم بحدها وحديدها، وكانت أحيانًا تتحرك بتوجيهات من اليهود.

كان هذا الصلح بمثابة إعادة تموضع لقريش لإعادة حساباتها مع النبي ﷺ التي أخفقت في محاربته في مواطن كثيرة في بدر وأحد والخندق، ولم تجن من علاقاتها

ووقوفها إلى جانب اليهود إلا المزيد من التهديد الأمني والاقتصادي لقريش في مكة، فلم تكن طرق التجار بالنسبة لهم آمنة بعد أن تم القضاء على حلفائهم من اليهود، بل تكبدوا الكثير من الخسائر المادية؛ بسبب القضاء على الكثير من أسواق وتجارات وقوافل اليهود في المدينة، وأصبح جزء منها بيد المسلمين.

لقد عملت هذه الاتفاقية على بقاء الشعرة التي بينهم وبين الرسول ﷺ، وأدركوا أن أمره إلى ظهور وليس إلا زوال، وأثبتت لهم الأيام أنهم سيكونون الخصم الوحيد للنبي محمد ﷺ في المنطقة.

وربما لو لم تكن النتائج التي حققها النبي ﷺ ضد اليهود لما كان هذا الصلح أو بهذا الشكل على الأقل؛ لذلك سماه الله تعالى فتحًا مبينًا كما في سورة الفتح، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١]، ولنا أن نقول وبكل ثقة: إن من أسباب هذا الإنجاز الذي في ظاهره أنه ليس بالشيء الكثير هو إزاحة اليهود من المشهد، والحمد لله رب العالمين.

❑ سحر النبي ﷺ:

ذكر الواقدي أن هذا السحر وقع بعد أن رجع ﷺ من الحديبية، في آخر ذي الحجة وأوائل المحرم سنة سبع للهجرة، وقال: جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفًا في بني زريق، وساحرًا متقنًا، فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمدًا، فلم نصنع شيئًا، ونحن نجعل لك جُعلًا -أي: أجرًا كبيرًا- على أن تسحره لنا، سحرًا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير.

لقد بذل اليهود جهودًا كبيرة لسحر النبي ﷺ تمثلت في عدة محاولات، والمشتركون في المؤامرة عدة أطراف، وفي أثر آخر في أسباب النزول للشيخ الواحدي: «قال المفسرون:

كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فأتت إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد ابن أعصم اليهودي...» [١].

فهم يعملون مجتمعين مع أنهم جماعات وطوائف مختلفة، لكن آراؤهم متحدة ضد المسلمين، وكل ذلك حسدًا من عند أنفسهم.

وهكذا طالت يد الإثم والعدوان النبي ﷺ نفسه، في محاولة يائسة للفتك به بسحرٍ دُسَّ له في طلح نخل ألقي في بئر، تروي لنا السيدة عائشة هذا الحدث وما فيه من أثر على النبي ﷺ، قَالَتْ: «سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ...» [٢].

صرَّحت السيدة عائشة رضي الله عنها في الرواية السابقة بأنه كان يهوديًّا، وقد وقع في رواية لابن عيينة عند البخاري [٣]: «رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا»، وبين الروايتين معارضة، وجمع بينهما الحافظ في الفتح بأن من أطلق أنَّه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقًا نظر إلى ظاهر أمره، ويحتمل أنَّه قيل له يهودي لكونه من حلفائهم، لا أنَّه كان على دينهم، وبنو زريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثير من الأنصار واليهود حلف وإخاء قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام تبرأ الأنصار منهم [٤].

على كل حال كان يهوديًّا أو لم يكن كذلك، فإن اليهود استطاعوا تجنيده لخدمة مشروعهم، كما هم يهود اليوم في تجنيد وتسخير ذوي السلطان وكبار القوم من غير

---

(١) أسباب النزول (ص٣١٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).
(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

اليهود لمشاريعهم، فضلًا عن صغار المرتزقة المأجورين، فهم أمة يستطيعون تحقيق مآربهم بالمغريات وبشكل جماعي منظم، وقد بيَّن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأسباب النفسية من وراء ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ [البقرة:١٠٩].

لقد كانت جريمة يهودية جماعية، وتحكي الآثار التاريخية أنها ليست الأولى من نوعها، لكن الله سلَّمه من شرهم، فلم تَعدُ آثار هذه الجريمة سوى على أشياء من أمر دنياه، وأن أثر السحر فقط تسلط على ظاهر أفعاله وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، لكن الله سلمه من السحر، فأبطله بعد أن عرَّفه مكانه، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سُحر النبي ﷺ، حتى كان يخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: **أَشعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ، وَمُشَاقَةٍ، وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**، فخرج إليها النبي ﷺ، ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: **نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**، فقلت: استخرجته؟ فقال: **لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا**، ثم دُفِنَت البئرُ»[(١)].

❑ اغتيال أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، أواخر عام (٤ هـ):

يعدُّ أبو رافع سلام بن أبي الحقيق من زعماء اليهود من بني قريظة، لحق بخيبر، وكان له دور بارز وأساس في تأليب الأحزاب وتجهيزها وتمويلها ضد رسول الله ﷺ، وقد رأى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).

النبي ﷺ أن قتل رموز اليهود سيكون سببًا في إضعاف شوكتهم وكسر شكيمتهم، ولعلَّ ذلك يكون سببًا في تراجعهم عن مؤامراتهم ودسائسهم، كما أن في قتلهم تمهيدًا لإزالة كياناتهم وشرهم كليًّا من محيط دولة الإسلام.

لما فرغ الرسول ﷺ من قريظة وقبيل غزوة خيبر كانت أحداث مقتل أبي رافع، وقد رغبت الخزرج نيل شرف قتل أبي رافع؛ مساواة بالأوس في قتل كعب بن الأشرف، فأذن لهم رسول الله ﷺ، فانتدب له رجالًا كلهم من بني سلمة، فأتوه في دار له في خيبر ليلًا، فقتلوه[1].

❑ **مقتل أسير بن رازم:**

لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمَّرَت يهود مكانه أسير بن رازم، فحلف أن يسير إلى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب النبي ﷺ، وقد بلغ ذلك النبي ﷺ، فجمع له ثلاثين رجلًا عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا عليه، وأخبروه أن النبي ﷺ أراد أن يستعمله على خيبر، فطمع في ذلك، وشاور اليهود فخالفوه، وقالوا له: ما كان محمد أن يستعمل رجلًا من بني إسرائيل؛ فخرج معه ثلاثون رجلًا من يهود مع كل منهم رديف من المسلمين، حتى إذا كانوا على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره إلى النبي ﷺ، فأراد الفتك بعبد الله بن رواحة، ففطن له، فضربه، فقطع رجله، وقام أسير بضرب رأس ابن رواحة، فمال أصحاب ابن رواحة على أصحاب أسير فقتلوهم[2].

كان اغتيال أبي رافع وأسير سببًا رئيسًا في تمهيد فتح خيبر وما وراءها من حصون.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٢) من حديث البراء بن عازب، وذكر المباركفوري أنهم كانوا خمسة أشخاص، ولتفصيل طريقة قتله ينظر: الرحيق المختوم (ص ٢٨٢).

(٢) السيرة، لمحمد رشيد رضا (١/ ٤١٠-ترقيم الشاملة).

❑ غزوة خيبر (٧ هـ):

لما وقعت الهدنة- يعني صلح الحديبية (٦ هـ)- بين المسلمين وقريش، تفرغ النبي ﷺ إلى وكر الفتنة والتحريش في خيبر، حيث تجمع فيها فلول اليهود، حتى غدت عاصمة للفساد ومأوى المفسدين من اليهود في المنطقة، فكانت السياسة النبوية هي التخلص من رؤوس الفتنة وأوكارهم، وقد حاول فلول اليهود إعادة التموضع في خيبر وإيجاد صيغة تجمع الكيانات اليهودية المتبقية في خيبر ووادي القرى وتيماء، وكانت بعض آرائهم أن تزحف هذه الجموع وتنقض على يثرب، لكن منهم من عارض هذا الرأي [١].

لم يبق أمام النبي ﷺ سوى خيبر آخر معاقل اليهود، وكانت محصنة منيعة وفيها موارد اقتصادية، وهي في موقع عسكري مميز، وأصبحت ملاذًا لكثير من اليهود الذين أجلاهم النبي ﷺ من المدينة، لكن عند استقراء واقع يهود خيبر يجد أنهم لم يُظهروا العداء للنبي ﷺ إلا بعد نزول زعماء بني النضير فيهم، وأنه عزَّ عليهم إجلاؤهم من ديارهم، وكان من أبرز هؤلاء: سلام ابن أبي الحقيق، وكنانة بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، ولما نزلوا خيبر دان لهم الناس [٢].

سعى النبي ﷺ على تفكيك منظومة الشر المحتشدة في خيبر، وعلى تحطيم معنوياتها قبل المواجهة المباشرة، فعمل على التخلص من زعماء اليهود وعلى رأسهم أبو رافع سلام ابن أبي الحقيق، وكان ذلك أواخر عام (٤ هـ)، وهو من زعماء بني قريظة، لحق بخيبر، وكان له دور بارز وأساس في تأليب الأحزاب وتجهيزها وتمويلها ضد رسول الله ﷺ، وقد رأى النبي ﷺ سرعة التخلص منه قبل غزو خيبر، فكان ذلك.

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٦٣٧-٦٣٨).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٤/ ١٤٥).

لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمَّرت يهود مكانه أسير بن رازم، فحلف أن يسير إلى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب النبي ﷺ، وقد حاول النبي ﷺ استمالته، لكنه فطن لذلك، فكانت مقتلته.

وقد كان لهؤلاء دور كبير في تحشيد قريش ضد الرسول ﷺ، فهم من حزَّبوا الأحزاب وأثاروا بني قريظة على رسول الله ﷺ، وتواصلوا مع المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان عينًا لخيبر، وحذرهم وخوفهم من الرسول ﷺ واستعداده لغزوهم.

فأخذوا الأمر على محمل الجد، وبدأوا بحراك عاجل؛ علهم ينالوا به حماية آخر معاقلهم، فأرسلوا إلى غطفان يستمدونهم ويطلبون منهم النصرة على نصف ثمار خيبر، فأجابوهم، وخرجوا إليهم مسرعين لنجدتهم، لكنهم لما كانوا في طريقهم إلى خيبر رجعوا إلى ديارهم؛ ظنًّا منهم أن الرسول ﷺ أراد أن يغير على ديارهم.

فقد أرسلوا إلى غطفان يستمدونهم؛ لأنهم كانوا من حلفائهم، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن غلبوا على المسلمين، فقبلوا [١].

كانت غطفان بمثابة المرتزقة لا ولاء لها تُباع وتشترى، وليس لهم ذِمة، وعرفوا بخيانتهم وغدرهم «أخلت بيهود خيبر لما دبَّ الخوف في قلوبهم، فرجعوا إلى أهليهم، وخلوا بين الرسول وخيبر» [٢].

لم يتوقف الأمر عند تحريك جبهة غطفان، فقد بلغ الرسول ﷺ أن بني بكر بن وائل شرعوا في جمع الناس ليمدوا يهود خيبر، فأرسل النبي ﷺ سرية بقيادة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٦ هـ)، قوامها مائة رجل يسيرون ليلًا ويكمنوا نهارًا حتى انتهى إلى الغمج - اسم

---

(١) تاريخ الخميس (٢/ ٤٣).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٣٠).

ماء بين فدك وخيبر-، فوجدوا رجلًا عينًا لهم بعثوه إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم من ثمرها، فدلهم على مكان القوم بعد ما أمَّنوه، فإذا نعم كثيرة، فساقوها وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن، ولم يلق الصحابة كيدًا.

وقد تمكَّن النبي ﷺ بهذا التكتيك السريع من قطع الإمدادات على اليهود، وحازها من غير اقتتال.

كانت دوافع النبي ﷺ تجاه خيبر تراكمية، فكانوا عصيين على تقبل الإسلام، وأصبحوا في حالة ميؤوس منها، كما أصبحت ديارهم مقرًّا للفتن، ومأوى لفلول اليهود وبعض رموزهم، ومنها تنطلق دسائسهم دونما كلل أو ملل، فكانت تستحق من النبي ﷺ كل هذا الحذر، وأن يحشد لها حتى يتخلص من شرها وشر تحريضها، كما في تحريضهم لقريش وغطفان وبعض القبائل الأخرى التي ألَّبوها وحشدوها ضد النبي ﷺ.

إن التخلص من خيبر يكون قد فتح للنبي ﷺ الطريق لدعوته شمالًا باتجاه الشام؛ لذلك كان الكثير ومن كل الأطراف يعوِّل على هذه المعركة التي سيكون لها ما بعدها.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة في محرم، وهي على ثلاثة أيام من خيبر بجيش قوامه ألف وأربعمائة مقاتل، ولم يعلن عن وجهته حتى لا تأخذ خيبر استعداداتها، وقبل بدئهم بالقتال كلَّف علي بن أبي طالب بدعوتهم للتوحيد.

وقد احتاج النبي ﷺ دليلًا يدله على طريق خيبر، فاختار المشرك حسيل بن خارجة مقابل عشرين صاعًا من تمر أدَّاها له بعد الفتح، ثم أسلم حسيل.

تموضع الرسول ﷺ في طريقه إلى خيبر بواد «الرجيع» بين خيبر وغطفان؛ ليحول بين غطفان واليهود.

خرج أهل خيبر كعادتهم في الصباح الباكر لبساتينهم وتجاراتهم، فوجدوا أمامهم الرسول ﷺ وأصحابه، ففروا هاربين إلى حصونهم وهم يصرخون: محمد والخميس،[١]، أي: محمد والجيش.

كانت حصونهم منيعة وعلى رؤوس الجبال ورجالها مدربين قد مارسوا القتال والمناورة على الجبال، وكانوا أصحاب سلاح كثير.

أخذ الرسول ﷺ وأصحابه يفتحون خيبر حصنًا حصنًا، وكان قتل مرحب سيد حصن ناعم له تأثير سلبي على اليهود، وكانت الحصون تسقط تباعًا وأهمها النطاة التي كان فيها أشد اليهود، ثم الشق والقموص والوطيح والسلالم، حتى فُتحت خيبر عنوة.

كانت أول نكبتهم هي مقتل زعيمهم سلام بن مشكم في حصن النطاة، لما كان المسلمون يحاصرونه[٢].

بعد تساقط حصونها تمكَّن رسول الله ﷺ منها، فصالحهم على نصف ثمارها، يروي لنا الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مشهدًا من مشاهد الاحتكاك باليهود يوم أن كان يخرص عليهم ثمارهم، أَنَّهُ قَالَ: «أَفَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٣٧)، تاريخ الخميس (٢/ ٥٠).

شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالَوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَاخْرُجُوا عَنَّا»[١].

❑ **حصون خيبر تنقسم إلى شطرين:**

إن المتتبع لطبيعة مساكن اليهود يجدها لا تخرج عن نمط الحصون المنيعة، كما في زمن النبي ﷺ وقبل ذلك، أو تجمع سكاني منغلق على نفسه كما في أروبا في القرون السابقة، والتي تسمى بـ«الجيتو»، وهي بمثابة حارات مغلقة لا يساكنهم بها أحد، وأحيانًا تكون محاطة بأسوار لها بوابات، وأما في دولة يهود الحالية فقد سكنوا ما اصطلحوا عليه بالمستعمرات أو ما نسميه بالمغتصبات، وهي في الحقيقة حصون لكنها بطابع عصري محاطة بأسوار عالية عليها أسلاك شائكة تكون موصولة بالكهرباء تصعق كل من يلمسها، يعلوها أبراج مراقبة تتناوب عليها الحراسات المشددة من جنود الاحتلال طوال اليوم والليلة، عليها كاميرات مراقبة وكشافات للإضاءة الليلة، يطوف حول أسوارها وعلى مدار الساعة العربات العسكرية للحراسة المتواصلة، هذا النمط من السكن هو الذي يحرص عليه اليهود قديمًا وحديثًا.

وقد كانت مساكن خيبر بمثابة جزر من الحصون اليهودية المنيعة والمشرفة، وكانت على شطرين؛ الأول: خمسة حصون (ناعم، الصعب، قلعة الزبير، أبي، النزار).

والثاني: ثلاثة حصون، ويعرف بالكتيبة (الغموص، الوطيح، السلالم)، وهناك حصون أخرى صغيرة وأقل أهمية.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٥٣)، وأبو داود (٣٤١٤).

أما القتال فكان في الشطر الأول، أما الثاني مع كثرة ما فيه من حصون إلا أن أهلها استسلموا وسلموها دونما قتال.

❑ **حصن ناعم:**

خط دفاع أول، ذو موقع استراتيجي مميز، رئيسه مرحب، من أبرز أبطال اليهود، ويعد مرحب بألف، لكنه نال ضربة برأسه من علي بن أبي طالب، وقيل: على يد محمد بن مسلمة[١]، حتى أرداه قتيلاً.

❑ **حصن الصعب:**

وهو الحصن الثاني من حيث القوة والمنعة، وكان فيه مخزون غذائي استراتيجي يكفي لفترة زمنية طويلة، ولما دخله المسلمون وجدوا فيه أسلحة ثقيلة ومتطورة من المنجنيقات والدبابات، ووجدوا فيه طعامًا كثيرًا[٢].

وبعد فتح ما سبق من حصون توجهت القوات الإسلامية إلى قلعة الزبير التي أخذت مكانها على رأس جبل وعر، لكن المسلمين تمكنوا من محاصرتهم مدة ثلاثة أيام، وتم قطع إمدادات الماء عنهم.

❑ **قلعة أبيٍّ:**

فتحها النبي ﷺ، بعد أن تسلل اليهود منها إلى حصن النزار[٣].

❑ **حصن النزار:**

أمنع الحصون في هذا الشطر، اجتمعوا فيه مع الذراري والنساء، بعد أن أخلوا غيره

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧)، وانظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ١٧٥).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٣٢). (٣) الرحيق المختوم (ص٣٠٨).

من حصون؛ لاعتقادهم عجز المسلمين على اقتحامه لمناعته [١].

لكنَّ المسلمين لم يعدموا حيلة، فلجأ النبي ﷺ إلى نصب المنجنيق، حتى تمكن من فتح ثغر فيه، فانهزم اليهود، وفروا منه وهربوا إلى الشطر الثاني من خيبر مخلفين وراءهم النساء والذراري؛ وأما حصون الشطر الثاني من خيبر، فقد تمكن المسلمون من أخذها سلمًا، وبعضها أُخذ بعد مفاوضات واتفاقات، وقد بلغ مجمل قتلى اليهود في معارك خيبر ما يقارب من ثلاث وتسعين رجلًا، كما سُبيت النساء والذراري، ومنهم صفية بنت حيي بن أخطب التي تزوجها النبي ﷺ بعد أن أعتقها.

لما تمكن النبي ﷺ من السيطرة على كامل خيبر، ودانت له، واستسلمت استسلامًا لا رجعة فيه أراد الرسول ﷺ إجلاءهم منها، إلا أنهم قالوا: يا محمد، دعنا نكن على هذه الأرض نصلحها، فنحن أعلم بها منكم، ولم يكن حينها للرسول ﷺ فائض من الغلمان يعملون على إصلاحها، وإن حصونها كانت واسعة الأطراف متباعدة، وتحتاج إلى الكثير من الأيدي العاملة الماهرة بالزراعة وفنونها ومعرفة مواسمها وطريقة الحفاظ عليها، وإنه في ذلك الوقت لم يكن عنده من فائض الرجال ليتركهم خلفه ينشغلون في الزراعة وريها وإصلاحها، وإنه لا زال يحتاج المزيد من المال والرجال لإكمال مشروعه الدعوي؛ فأعطاهم الرسول ﷺ الأمان، وكان يوصي عامله معاذ بن جبل: بأن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم [٢].

وأعطاهم شطر ثمار خيبر، يخرصها عليهم، أي: يقدِّرها وهي على النخل، وكان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد المبشرين بالجنة وأحد أثرياء المسلمين قد كلفه النبي ﷺ بأن

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٦٦٨).

(٢) دراسة في السيرة، لعماد خليل (ص٢٩٩).

يخرص ثمار خيبر بين المسلمين واليهود، إلا أنهم حاولوا إفساد ذمته بالرشوة، محاولين إشاعة الفساد الإداري في دولة النبي ﷺ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ قَالَ: «أَفَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَاخْرُجُوا عَنَّا» (١).

لكن هذا الحال لم يدم طويلًا، فقد قرر النبي ﷺ إخراج اليهود كليًّا من خيبر وغيرها من أماكن، فخرج النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه إلى خيبر يأمرهم بالخروج منها، وقد اتخذ الرسول ﷺ احتياطاته، فلم يذهب منفردًا خشية على نفسه من مكرهم أو إيقاع السوء المباشر به، فقد عهد عليهم ومنهم السوء والمكر والخديعة وقتل الأنبياء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ؛ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: **يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**؛ فَقَالُوا: قد بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **ذَلِكَ أُرِيدُ**، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ؛ فَقَالَ: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**» (٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤٤)، ومسلم (١٧٦٥).

أَيْ: إِنْ اِعْتَرَفْتُمْ أَنَّنِي بَلَّغْتُكُمْ، سَقَطَ عَنِّي الْحَرَجُ [١]، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ: قالوا ذلك من باب رفضهم أمره، وكأنهم يقولون: نعم سمعنا، وهم لا يريدون السماع، فبالغ الرسول ﷺ في تبليغهم وكرر عليهم، وكأن لسان حالهم يقول: سمعنا، ولا داعي للتكرار!

والتكرار في: «**أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**» مُبَالَغَة فِي التَّبْلِيغ، وأنهم يسلمون من الإجلاء، أراد النبي ﷺ منهم أن يسمع اعترافهم بأنه بلغ دعوة ربه، وليس المقصود إكراههم على الإسلام، وأول ثمرات هذه السلامة أنكم تسلمون من الإجلاء عن وطنكم الذي عشتم فيه ردحًا من الزمن، والذي هو أشد صعوبة عليكم من غيره من بلاء، وقَالَ: «**اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ**»، وأنني رحمة بكم وانصافًا لكم ما أجليتكم، أي: ما أخرجتكم من الأرض إلا بأمر الله، وبعد أن دعوتكم وأقمت عليكم الحجة مرارًا وتكرارًا، ورفضتم ما دعوناكم إليه؛ حرصًا عليكم بعد أن منحناكم الفرصة.

قال: «**فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ**»: منحهم الفرصة وسمح لهم بيع ما أرادوا بيعه، فكان بيعهم جائزًا؛ لأنه لم يقع الإكراه على البيع من أجل أعيان الشيء المبيع، وإنما وقع من أجل الذي لزمهم في الخروج [٢]، وبيع ما لا يتيسر لهم نقله، مثل الأرض والأشجار ونحوه.

قال: «**وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**»: فإن مشيئة الله وقدره فيكم أن أرضكم

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣١٨).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٨/ ٢٩٨).

هذه يعود حكمها وأمرها للمسلمين الذي ساروا على النهج المأمورين به، طالما أنكم رضيتم الكفر دينًا لكم؛ فالمستحقون لميراث الأرض هم العباد المتقون، وليس كما يظن اليهود أن هناك عهد إلهي لقوم دون قوم أو جنس دون جنس أو عرق دون عرق، وهذا ما أخبر به المولى على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وتأكيدًا لهذا المبدأ يذكر المولى سبحانه وتعالى اليهود مرة أخرى وبعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي الزبور الكتاب المنزل على نبي الله داود، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، أي: أَنَّ الْحُكْم للهِ فِي ذَلِكَ وَلِرَسُولِهِ؛ لِكَوْنِهِ الْمُبَلِّغَ عَنْهُ، الْقَائِمَ بِتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ [١].

❑ **محاولة قتل النبي ﷺ بالسُّم:**

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وأخذ رسول الله ﷺ محله في خيبر يستجمع أنفاسه من معركة ضارية متعددة المحاور، قُدِّم له على مائدته شاة مصلية، دُسَّ فيها أشد أنواع السم، في خطة يهودية ماكرة تم الإعداد لها بعناية.

تتصدر مشهد الجريمة امرأة يهودية اسْمهَا زَيْنَب بنت الْحَارِث أُخْت مَرْحَب الْيَهُودِي، وبتوجيه ودعم وتنسيق من قيادة اليهود في خيبر؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: **لاَ**، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [٢].

وهذه المحاولة شبيهة في محاولة اغتيال النبي بإلقاء الصخرة عليه في بني النضير،

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (٢١٩٠).

محاولات يهودية خبيثة يائسة ترمي بجملتها للتخلص من الرسول محاولة تلو الأخرى، دونما كلل أو ملل، ومن جملة هذه المحاولات دسيسة جديدة ومؤامرة خطيرة كادت لولا لطف الله تعالى ورعايته وتعهده بحفظ نبيه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، أن يهلك بسببها رسول الله ﷺ، كما هلك- وعلى الفور- الصحابي بشر بن معرور الذي كان مع النبي على هذه المائدة المشؤومة.

لم تكن هذه الجريمة عملًا فرديًّا، بل تدبيرًا جماعيًّا خُطِّط له بعناية، تديره جماعة اليهود في خيبر، وقد جاءت الروايات تشير إلى ذلك بكل وضوح، كما في رواية أخرجها البخاري أن النبي ﷺ قال ليهود: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟** قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»[(١)]، وهذا هو المبرر السمج وحجتهم التي صرحوا بها لاغتيال النبي ﷺ، وبمثله تمامًا صرحت زينب بنتُ الْحَارِث التي نفَّذت عملية دس السم.

ويبدو أن هناك أسبابًا أخرى ذكرتها بعض المصادر التاريخية، كقول زينب بنت الْحَارِث للنبي ﷺ مبررة فعلتها؛ انتقامًا من النبي بقولها: «قتلتَ أبي وعمي وزوجي، ونلتَ من قومي ما نلت» [(٢)].

دافع الثأر والتي لأجله اختيرت زينب بنت الْحَارِث كمنفذة لعملية الاغتيال وما تحمله من حقد دفين ورغبة جامحة في الانتقام لأهلها من النبي ﷺ، ولا سيما أنهم من سادة يهود وكبرائهم؛ أما أبوها فكان من قادة خيبر وسادتهم، وزوجها سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٦٧٨).

هو- أيضًا- من سادات خيبر، وقبل ذلك كان من سادات بني النضير، وأما مرحب فقيل: إنه أخوها أو عمها، وهو من سادات يهود، فهي من عائلة وازنة، لها مكانتها بين اليهود.

لقد ظنت تلك الحمقاء بعد سلسلة من الهزائم التي مُنِي بها اليهود أنها باستطاعتها أن تنهي مشهد الذل والقهر الذي مُنِي به اليهود، وتردَّ عليهم اعتبارهم وما أُخذ منهم من أنعام وأموال وسبي من النساء والذراري وأرضهم وقلاعهم التي أجلاهم النبي ﷺ منها.

ولما سعت بعد تحسس وتجسس في معرفة عادات النبي ﷺ في طعامه، وأي جزء منه يشتهيه، علمت أن الذراع هو المفضل في طعامه ﷺ، فخصته بكثير من السم، ولا أظن أن إحضار هذا النوع من السم الذي يفتك على الفور بآكله لم يكن إلا من خبير به، عارف بالنوع والمقدار المناسب للفتك وطريقة إخفاء أثره في الطعام، من خلال طريقة طبخه وتتبيله، ومهارة إخفاء جرم السم وأثره.

لقد كانت جريمة متكاملة الأركان، أشرف على تنفيذها عصابة إجرامية محترفة، وليست زينب بنت الحارث لوحدها، كما أن توقيت تحضير الشاة المصلية ووصولها إلى مائدة النبي ﷺ يحتاج إلى نوع دقيق من التتبع لتحركات النبي ﷺ، والتأكد من أنه لم يأكل طعامًا غيره، وأما بطريقة دخول الطاعم إليه حتمًا أنها كانت بطريقة مدروسة ومخطط لها، وأن زينب بنت الحارث استغلت حسن علاقتها بزوج النبي ﷺ الجديدة صفية - ابنة خالتها -، وحداثة سنها وثقتها بها [1]، حتى ظنت بها خيرًا، فانسلت من خلالها إلى مقر إقامة النبي ﷺ.

ولا شك أن ملابسات الحادثة تبين أن دراسة كاملة أحيطت بعادات النبي ﷺ

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٠٩).

وتحركاته، حتى وصلت الهدية الملغومة بالسم إلى مائدة النبي ﷺ، وهم يعلمون سلفًا أن النبي ﷺ سيقبل الهدية؛ تحببًا لهم وتطييبًا لخاطر زوجه صفية، ونوعًا من الأمان لحسن المعاشرة والمعايشة معهم، ويبدو أن التي قدمت الشاة المسمومة إلى مائدة النبي ﷺ امرأة أخرى؛ ليأمن جانبها وجانب من زعمت أنها هدية منها للنبي ﷺ.

إنه عمل وحقد وتواطؤ جمعي مدروس للجريمة بكل تفاصيلها الدقيقة، موزعة فيه المهام، كل وفق تخصصه ودوره المكلف به.

ويظهر الحديث أن النبي ﷺ قام على التحقق من واضع السم، فعرف أنها زينب، وقام بالتحقق للتعرف على المتورطين في الجريمة، فعرف أنهم من بقايا يهود خيبر.

❑ **فدك وتيماء ووادي القرى ٧هـ:**

كان أهل فدك ووادي القرى وتيماء وهي تجمعات يهودية أخرى استوطنت الجزيرة العربية، ووفق الخريطة الحالية تقع هذه التجمعات شمال غرب المملكة العربية السعودية.

كانوا يراقبون حراك النبي ﷺ وانتصاراته المتتالية على إخوانهم اليهود والمشركين على حد سواء، وتوسع نفوذه وفرض هيبته في المنطقة بعد تداعي كل هذه القوى أمام جيشه ودولته ودعوته الناشئة على عقيدة صلبة.

ولما أقبل النبي ﷺ إلى خيبر ودنا منها أرسل محيصة بن مسعود الحارثي إلى فدك، يدعوهم للإسلام، ويخوفهم الغزو كما غزا خيبر.

❑ **(فدك ٧هـ):**

تقع بين خيبر وتيماء على نحو (١٤٠) كيلا جنوب شرق خيبر، وأثناء حصار الوطيح والسلالم أرسل لهم النبي ﷺ رسوله محيصة بن مسعود، فلما بلغهم ما أوقعه النبي ﷺ

في أهل خيبر قذف الله في قلوب أهل فدك الرعب، وتجنبًا للخسائر في الأموال والأرواح، وبعد أن أُسقط في أيديهم سارع أهل فدك إلى إرسال نون بن يوشع في نفر من يهود إلى طلب الصلح وحقن الدماء، فوافق النبي ﷺ على أن يعطَوا نصف أرض فدك.

❑ **(وادي القرى ٧هـ)**:

وهي مجموعة من القرى المتجاورة في واد واحد، وهي شمال المدينة باتجاه تبوك على نحو (١٥٠) كيلا عن المدينة المنورة، تعرف اليوم بمنطقة العلا، سمي بوادي القرى لكثرة القرى فيه، يهودها من الشام أو اليمن، استقروا في الوادي لوفرة المياه فيه وخصوبة الأرض، لم يكن ليهودها عداء مباشر مع النبي ﷺ.

وقد كان الهدف إخضاعها لسلطة النبي ﷺ، فحاصرها النبي ﷺ ليالي بعد خروجه من فدك، ثم استسلمت، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وعاملهم النبي ﷺ على أرضهم كما عامل يهود خيبر.

❑ **(تيماء٧هـ)**:

تبعد عن فدك (٢٥٠) كيلا، سكنها اليهود منذ زمن بعيد، وهي حاليًا ضمن منطقة تبوك في الجنوب الشرقي منها في المملكة العربية السعودية.

ولما بلغ أهل تيماء خبر أهل خيبر ثم فدك ووادي القرى، بعثوا من تلقاء أنفسهم يعرضون الصلح، فصالحهم النبي ﷺ على ما صالح به أهل خيبر، وضرب عليهم الجزية، وغيرها من تجمعات أخرى دانت للرسول ﷺ مثل أهل مقنا وبني حبيبة أو حنينة [١]، وبعضها دخل في حلفه مثل يهود بني غازية وعريض، وأما يهود البحرين فلم يكلَّفوا إلا

---

(١) انظر: فتوح البلدان، للبلاذري (ص٦٧-٦٨).

بدفع الجزية، وبقوا متمسكين بدين آبائهم [١].

ويكون بهذا قد أنهى النبي ﷺ أسطورة اليهود، ونفوذهم بين العرب، فضلًا عن أي استقلال سيادي أو جغرافي أو مادي لهم في الجزيرة العربية، والحمد لله رب العالمين.

مواجهة النفوذ الاقتصادي:

كان لليهود في الجزيرة قوة اقتصادية كبيرة متنوعة المصادر كالزراعة والتجارة والصناعة والربا، وكانت مناطقهم واقعة على طريق القوافل التجارية وغيرها القادمة من الحجاز واليمن المتجهة إلى العراق والشام، وكانت أسواقهم بمثابة أسواق مركزية يقصدها معظم التجار العرب من اتجاهات عدة؛ حتى استطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم المالية على كثير من القطاعات التجارية والصناعية والزراعية، ويتحكموا بكثير من القرارات بحكم نفوذهم المالي، فقد أرهقوا الأوس والخزرج بالربا، حتى استحوذوا على أموالهم ومدخراتهم.

كما أخبر سبحانه واصفًا حالهم في أكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦١].

تمكن النبي ﷺ من تخليص الناس من رباهم بتحريم الربا الذي نزل بشكل متدرج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠]، كما كان لهم سوق مركزي في بني قينقاع، ومارسوا التجارة الداخلية والخارجية، وكانت من أهم سلعهم الحرير، ونساؤهم تشتغل بنسج الأقمشة، كما عُرفوا بصناعة الأسلحة وزراعة التمر والحبوب.

---

(١) حياة محمد، لمحمد حسين هيكل (ص٢٤٧).

أما مواطنهم فكانت من أخصب الأراضي الزراعية وأجودها، فكانت محصولات أرضهم بمثابة سلة غذائية متنوعة وثرية، وكان النخيل بأنواعه أميز منتجاتهم الزراعية، وكانت اختياراتهم للأرض أن لا تخلوا من ماء، ولا ننسى أن بئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان كانت لرجل من اليهود [١].

كما عملوا في تربية الماشية والدجاج [٢]، وصيد الأسماك [٣].

وأما على الصعيد الصناعي فقد تميزوا بصناعة الأسلحة، كالسيوف والدروع والرماح والأدوات الزراعية[٤]، وصياغة الحلي من ذهب وفضة.

فهم أصحاب مال وفير، لدرجة أن الناس كانوا يرهنون ما عندهم ليأخذوا طعامًا يأكلونه، كما فعل النبي ﷺ حينما رهن درعة عند يهودي في المدينة ليأخذ منه شعيرًا لأهله[٥].

لا شك أن من أسباب ثورة اليهود ضد النبي ﷺ ونقض عهودهم معه وما توافقوا عليه في الصحيفة، هو شعورهم باختلال سيطرتهم على المنظومة الاقتصادية برمتها، وأن دولة الرسول ﷺ كانت سببًا في تحجيم وإضعاف نفوذهم الاقتصادي في المنطقة، من خلال:

❑ **تحريم الربا:**

فقد جاءت التشريعات الإسلامية وبشكل متدرج بتحريم الربا، كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء:١٦١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا

---

(١) الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/ ١٠٣٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٥، ٢٨٢).

(٣) فتوح البلدان، للبلاذري (ص ٦٠).

(٤) المغازي، للواقدي (ص ٢٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران:١٣٠]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

❑ **مشاركة اليهود على نصف الثمار:**

حيث صالحهم الرسول ﷺ على ثمار خيبر قبل أن يجليهم منها، وهذا وفق الأعراف الاقتصادية خسارة كبيرة جدًّا، فبعد أن كانوا يحصدونها كاملة لهم لا يشاركهم بها أحد أصبحوا يأخذون نصفها فقط، وبعد أن كانوا هم أربابها أصبحوا يعملون كأُجَراء على نسبة منها تصل إلى النصف، معرضين للطرد في أي لحظة.

❑ **إيجاد البديل (سوق المدينة):**

وكان يسمى أيضًا «سوق المناخة»، حيث لم يرض النبي ﷺ أن يكون المسلمون عالة على غيرهم، فقرر أن يكون للمسلمين سوقهم الخاصة بهم، يحافظ من خلاله على الأمن الغذائي والاستقرار الاقتصادي لدولته، فعمل فورًا على تأسيس سوق للمسلمين بديلة عن سوق غيرهم، واختار بنفسه مكان السوق؛ ليخلص المسلمين سيطرة اليهود على اقتصاد المدينة، فجاء النبي ﷺ إلى أرض لبني زُرَيق من بني النجار تُعرَف ببقيع الزبير، ووضع فيها خيمة، وطلب من الصحابة أن يتخذوها سوقًا لهم، أدرك اليهودي كعب بن الأشرف خطورة هذه الخطوة على الاقتصاد اليهودي، فجاءها وقطَّع أطنابها.

فقد روى ابن شبة «أن رسول الله ﷺ ضرب قبة في موضع بقيع الزبير، فقال: **هَذَا سُوقُكُم**، فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها، فقال رسول الله ﷺ: **لَا جَرَمَ، لَأُنْقِلَنَّهَا إِلَى مَوْضِعٍ هُوَ أَغْيَظُ لَهُ مِنْ هَذَا**؛ ثم انتقل النبي ﷺ إلى موضع آخر يمتد من مسجد الغمامة إلى سقيفة بني سَاعِدة، وقال لأهل المدينة: **هَذَا سُوقُكُمْ؛ فَلَا يُنتقَصَنَّ، وَلَا يُضربنَّ**

عَلَيْهِ خَرَاجٌ»[١].

وكان اليهود يشترطون على كل من أراد البيع او الشراء أن يدفع خراجًا «ضريبة» بمجرد أنه دخل سوقهم، وكان هذا ضربًا من ضروب تحكم اليهود بعملية البيع أو الشراء، وأن كل شخص ملزم بشرطهم في بيعه وشرائه.

ولا شك أن مثل هذه التوجيهات النبوية أتت لكبح جماح اليهود ومن على شاكلتهم؛ حتى يتوقف نزيف الغطرسة والكبر والتعالي اليهودي على الآخرين، وأن يضع لهم حدًّا ومكانة لا يجاوزونها.

إن ما أفرزته كتب اليهود المقدسة كالتوراة والتلمود وفتاوى حاخاماتهم واستعلاؤهم واستقذارهم الشعوب، وأنهم شعب الله المختار وشعبه المقدس، هذه المفاهيم هي التي أسست لنظرية الاستعلاء على غيرهم، وأنهم في نظرهم ليسوا سوى حيوانات على صورة البشر، خُلقت لخدمة اليهود!

❑ **فتح مكة (٨ هـ):**

لو لم يكن القضاء على اليهود لما كان فتح مكة، أو ربما لتأخر فتحها لسنوات والله تعالى أعلم، وقد كان فتح مكة فتحًا كبيرًا ونقطة تحول كبرى وعلامة فارقة في مشروع النبي محمد ﷺ، فكما كانت غزواته ضد بني قينقاع والنضير وقريظة ثم خيبر علامة فاصلة في التخلص من المشروع اليهودي، كان فتح مكة علامة فاصلة في التخلص من مشروع المشركين، ولولا أنه تمكن من التخلص من اليهود لما تمكن من الخلاص من المشركين، ولوجدهم وقريش ينتظرونه على مشارف مكة محتشدين شاهرين سيوفهم لمواجهته.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣٣) من حديث أبي أَسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ النبي ﷺ كامل استعداداته، فتجهز لمباغتة قريش بعشرة آلاف خرجوا معه من مكة، وفي طريقه التحقت به القبائل، حتى وصل عدد جنده اثني عشر ألفًا من المسلمين، يقودهم بنفسه.

وهكذا تهاوى كبرياء سادات قريش أمام هيبة النبي ﷺ وجنده، فكان يتقدم إلى قلب مكة بكل ثقة وثبات، ومن عدة جهات من غير مقاومة تُذكر، إلا من إحدى الجهات حاولت مقاومة تقدم جند المسلمين، لكنها لم تفلح.

❑ **غزوة تبوك (٩ هـ):**

كانت هذه الغزوة علامة بارزة على النجاحات التي حققها النبي ﷺ على مستوى الجزيرة العربية، وبسط نفوذه فيها، حتى تمكن من الوصول إلى أطراف الشام، لكن كل هذه النجاحات لم تكن تخفى على الرقيب اليهودي الذي أغاظته الإنجازات العظيمة التي حققتها دولة الإسلام في فترة وجيزة؛ لكن اليهود وعلى ما هم فيه من ضعف وذلة واندحار وانحدار، إلا أنهم لم يفوتوا أي فرصة للكيد بدولة الاسلام؛ فحولوا بيوتهم أوكارًا للدس والتأليب وتخذيل المسلمين وحبك المؤامرات ضد الرسول ﷺ.

لكن دولة الإسلام واستخباراتها لم تكن في غفلة عن تحركات اليهود ومكائدهم، فقد بلغ رسول الله أن ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، وكان بيته عند جاسوم – بئر أبي الهيثم – يثبِّطون الناس عن الاشتراك في الغزوة، فبعث إليهم الرسول ﷺ طلحةَ بن عبيد الله في نفر من الصحابة، وأمرهم أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة [١].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢ / ٥١٧).

لا شك أن المنافقين كانوا عونًا لليهود يحققون أهدافهم، وبوقًا يبث سمومهم، يتخذون كل السبل لإجهاض المشروع الاسلامي وتطلعاته، ونظرًا لصعوبة تلك المعركة، وبُعد مسافتها فقد تخلف معظم المنافقين عنها وضرب عبد الله ابن أُبي بن سلول معسكره قريبًا من جبل ذباب في المدينة المنورة، وكان معه ما يقرب من نصف الناس، حتى كان يظن المتخلفون أن لا أحد ينتبه لتخلفه؛ لكثرة الناس [١].

قال تعالى محذرًا نبيه ﷺ منهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة:١٠١] كاشفًا لنبيه أسلوبهم بالأعذار الواهية: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ [التوبة:٩٤]، ومحذرًا نبيه ﷺ من التساهل معهم كما قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣]، كل ذلك ليكشف الله تعالى للنبي ﷺ ألاعيب المنافقين.

لقد كانوا يتمسَّحون بالدين وشعائره، ويبنون المساجد يحتشدون فيها ومن كانوا على أضرابهم؛ ليفرقوا الصفَّ الإسلاميَّ، ويبعثروه باسم الدين والدِّيانة، فقد جاء أهل مسجد الضرار النبي ﷺ وهو يتجهَّز للمعركة وقالوا له: إنا بنينا مسجدًا لذي العلَّة والحاجة والليلة الشاتية، وإنَّا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه، فدعا رجلين من أصحابه وأمرهم أن يهدموه ويحرِّقوه، وقد فضح سبحانه نواياهم، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

وفي تبوك وعند مشارف الشام ينعى النبي ﷺ نفسه في قوله لعوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٥١٩).

«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَة: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (١).

❑ **رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول:**

لقد كان شخصية بارزة لم يخف على الناس نفاقها، مهمة ومحورية في إدارة مشروع التخذيل عن النبي ﷺ والتحشيد والدفاع عن اليهود، أظهر الإسلام وأبطن الكفر، هو وأضرابه ترياق اليهود وشريان وجودهم، وعالمنا اليوم مليء بأمثاله.

ولما كان هذا المنافق لاعبًا رئيسًا في كثير من مشاهد الصراع بين النبي ﷺ واليهود، رأينا أنه من اللازم التطرق له وممارساته بشكل مستقل.

فإنه لما شعر بمجيء النبي ﷺ مهاجرًا للمدينة، أيقن أن في ذلك نهاية لأحلامه في تولي قيادة يثرب، ومن حينها أبطن النفاق وكره النبي ﷺ وما جاء به، واستمر على هذه الحال حتى مات.

كانت حياته مليئة بالمشاهد البارزة في مناوأة النبي ﷺ والوقوف ضده، وهكذا مات ابن سلول في شهر شوال من السنة التاسعة للهجرة، وبموته ضعفت حركة النفاق في المدينة متزامنًا معها تخلُّص النبي من اليهود، حتى أن نصوص الوحي القرآني والتحذير النبوي من اليهود والمنافقين قلَّت بشكل ملاحظ.

ولعظيم مكانة ابن سلول عند اليهود يذكر الواقدي كيف أن اليهود أصابهم جزع

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦).

وحزن شديد على موته، فكثر القوم من المنافقين ويهود بني قينقاع عنده، حتى قالوا: يا عبد الله، نودُّ أن نفديك بأموالنا وأولادنا، ولما مات بكى عليه اليهود [١] وأرادوا أن يستأثروا بدفنه، وأخذ المنافقون وبنو قينقاع ينثرون التراب على رؤوسهم من شدة الحزن والألم [٢].

❑ **النبي الشهيد على يد اليهود:**

اشتكى رسول الله ﷺ المرض في بيت ميمونة أم المؤمنين بعد ثلاثة أشهر تقريبًا من عودته من حجة الوداع (١٠ هـ)، وقد مات عن ثلاث وستين عامًا في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، بعد عشرة أيام قضاها ﷺ مريضًا.

وتشير أصابع الاتهام ومنطوق النبي ﷺ وبكل وضوح إلى اليهود في ملابسات وفاته ﷺ، فقد كانوا وراء هذه الجريمة النكراء، كما كانوا وراء مقتل كثير من الأنبياء عليهم السلام.

كانت بداية شكواه ﷺ منذ العام السابع يوم أن دُسَّ له السم في شاة بعد فتح خيبر، وكان يعاني من أثر هذا السم كل عام، وقد أخبر النبي ﷺ عن وجعه المستمر معه سنويًّا، فقال ﷺ: «**مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي فِي كُلِّ عَامٍ، حَتَّى كَانَ هَذَا أَوَانَ قَطْعِ أَبْهَرِي**» [٣].

لقد كان أثر السم وتأثيره على النبي ﷺ واضحًا، كما أوضح أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: **لا**، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٤]، وأنه رضي الله عنه رأى بعينه تأثير السم في لهوات

---

(١) تاريخ الخميس (٢٣/ ١٥٦).
(٢) مغازي الواقدي (ص ٤١٥).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (٨٣)، من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٤) سبق تخريجه.

النبي ﷺ، فقال: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، واللَهَوَاتِ: هي اللَّحْمَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي أَصْلِ الْحَنَكِ، وقد بدا عليها خروجها عن الحالة السليمة.

وهكذا مات النبي ﷺ من أثر السم بعد أربع سنوات [١]، فجمع الله له بين النبوة والشهادة، وقد أقسم الصحابي الجليل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ذلك قائلًا: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ تِسْعًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قُتِلَ قتلًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا» [٢].

قال الإمام السندي في شرح المسند: «ولا ينافي ذلك قوله تَعَالَى في سورة المائدة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]؛ إذ يكفي فيه العِصْمَة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصم منه ﷺ بلا ريب»[٣].

وقد نقل عن غير واحد من العلماء أن السم كان سببًا في موت رسول الله ﷺ، قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ بَقِيَ أَثَرُهَا -أَيْ: أَثَرُ السُّمِّ- مَعَ ضَعْفِهِ؛ لِمَا يُرِيدُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الفَضْلِ كُلِّهَا له ﷺ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ إِكْرَامَهُ بِالشَّهَادَةِ، ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الأثرِ الكَامِنِ مِنَ السُّمِّ؛ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» [٤].

ذكر ابن إسحاق في السيرة أنه ﷺ مات شهيدًا، ومثله ذكر المسعودي «وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيدًا، مع ما أكرمه الله به من النبوة» [٥].

وبه قال ابن بطَّال: «أراد الله له الشهادة بتلك الأكلة»[٦]، وقال ابن الملقن: «أن السم

---

(١) ينظر: جوامع السيرة، لابن حزم (١٢).
(٢) أخرجه أحمد (٣٦١٧)، والحاكم (٤٣٩٤).
(٣) شرح المسند (٣/ ٢٤٧).
(٤) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١١٣).
(٥) التنبيه والإشراف، للمسعودي (١/ ٢٢٣).
(٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٥/ ٣٤٦).

لم يؤثر فيه، حتى كان عند وفاته؛ لتجتمع له النبوة مع الشهادة؛ مبالغة في كرامته ورفع درجته»[١].

يتضح مما سبق أن الله وكما وعد نبيه ﷺ بعصمته من الناس كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧] أن الله لم يجعل السم ومع كثرته سببًا بالإفتاك السريع بالنبي ﷺ؛ ليؤخر الله تعالى موته عدة سنوات؛ ليتم رسالته، ويلطف بنبيه، ويغيظ عدوه، ولا يحقق لهم غاية، ثم يكرمه الله تعالى ويختم له بالشهادة.

وبهذا يكون النبي ﷺ وكما بدأ دعوته بصراعات لم تنته مع اليهود إلا بموته الذين هم كانوا سببًا فيه، كذلك سيبقى صراعنا معهم إلى يوم القيامة، يبتلي الله تعالى كل منا بالآخر؛ ليعظم أجرنا حتى تحسم المعركة بين الحق والباطل آخر الزمان على أرض فلسطين، بأن يقوم عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رمز الحق وعنوانه، بقتل مسيح اليهود رمز الباطل وعنوانه.

❑ **من ثمرات الاستراتيجية النبوية للتعامل مع اليهود:**

لقد عمل النبي محمد ﷺ منذ أن وطئت قدماه الشريفتان المدينة المنورة على تحصين دولته من كل المتربصين الماكرين بها واليهود بخاصة، لم يكن غافلًا عن تحركاتهم والفاعلين المؤثرين منهم وفيهم، مدركًا خطورتهم في حياته وبعد مماته، يتلمس الفرصة المواتية للخلاص منهم جذريًّا.

كانت خطواته مرسومة وبعناية ربانية وتخطيط وإعداد سليم، فقد فكَّك حصونهم بأيديهم، قال تعالى: ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وأزال وجودهم كليًّا، وسيطر على مواردهم الاقتصادية والمالية ومواقعهم المشرفة على الطرق التجارية،

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ٦٠٩).

ووضع يده على ثرواتهم الزراعية وسلتهم الغذائية، حتى غدا حلم عودتهم إليها مستحيلًا، لقد أسهمت غزوات النبي ﷺ وسراياه ضد اليهود في تصفية كيانات الشر والخطيئة من الجزيرة العربية.

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ الحجة على اليهود، وأعطاهم فرصة الإيمان ليبقوا حيث كانوا، لكنهم أصروا على عنادهم، فكان شرع الله فيهم أن لا يطؤوا جزيرة العرب، وأمر بإخراجهم منها إلى أبد الدهر، كما أمر ﷺ، فقال: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**،...»[١]، وعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا**»[٢]، وقال ﷺ: «**أَخْرِجُوا يَهُودَ أهل الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[٣].

وعملًا بوصية النبي ﷺ فقد أخرج عمر بن الخطاب من تبقى منهم والنصارى من المدينة وخيبر وفدك واليمامة، وأما الشام واليمن فليستا من جزيرة العرب، لكن لا يعني ذلك أن لهم حكم الأرض والعلو على المسلمين فيها.

اليهود ليسوا هم الورثة الشرعيين للأنبياء ولا للأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] لتكون جزيرة العرب محصنة خالصة للمسلمين للحفاظ على جناب عقيدة المسلمين وقبلتهم من أيِّ شائبة أو أي انسلال للكفر والكافرين إليها؛ وبهذا يكون النبي ﷺ قد أنهى الوجود الربوي والاحتكار الاقتصادي والنفوذ السياسي والعسكري لليهود في الحجاز، وطهرها تطهيرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٥)، والدارمي (٢٥٤٠) من حديث أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كاملًا، وإن المسلمين ينعمون بثمرة هذا الإنجاز الاستراتيجي إلى يومنا هذا.

لقد كان فضل الله تعالى على رسوله وصحابته الكرام وعلى الأمة المسلمة أن أزاح عنهم كابوس اليهود قرونًا طويلة، خلت فيها المدينة والجزيرة العربية من شرهم مدة تزيد عن ألف وأربعمائة عام، وإلى زماننا هذا نَعِمَت فيها الأمة من منغصات اليهود وفسادهم وتحريشهم بين الناس، وكل ما نخشاه أن يأتي أناس من المحسوبين على أمتنا أن يبددوا هذا الإنجاز، ويضيعوا هذه الأمانة، خاصة إذا علمنا أن اليهود يتطلعون ويصرحون بشكل علني وقح نحو أطماعهم في خيبر والمدينة وحتى مكة المكرمة، حتى تصل حدود دولتهم إلى ما بين نهري الفرات في العراق والنيل في مصر!

❑ لماذا لم يكن لليهود دولة زمن النبي ﷺ؟

قد يتبادر إلى الأذهان سؤال مهم: لماذا لم ينشئ اليهود دولة لهم أو سلطة مركزية أو حكمًا سياسيًّا في المدينة أو خيبر أو غيرها من أماكن تواجدهم في الجزيرة زمن النبي ﷺ كان ذلك أو قبله، مع أنهم هم الأسبق وجودًا من الأوس والخزرج في المدينة وغيرها من مواقع؟ وأنهم أهل كتاب وعلم ونفوذ سياسي ومالي وتجاري وزراعي، ولهم تجمعات وحصون مشرفة منيعة في مواقع استراتيجية بالغة الأهمية؟!

في الحقيقة أن الدولة الوحيدة التي كانت لبني إسرائيل وليس اليهود لمَّا كانوا على الهداية زمن دولة داود وابنه سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، في دولة لم تدم طويلًا، انفرط عقدها بعد وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانقسمت إلى دولتين: شمالية «السامرة»، وجنوبية «يهوذا»، ثم تفرقوا في البلاد بعد اجتياح «نبوخذ نصر» البابلي وأسره جموعًا من يهود بيت المقدس إلى بابل.

لقد كانوا يتطلعون إلى حكومة على يد نبي من نسل إسحاق ينتظرونه ردحًا من الزمن،

أوصافه وأعماله معروفة عندهم في كتبهم المقدسة يترقبون بعثه، ويتهيؤون لاستقباله، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن بعد بعثة النبي تفاجؤوا أنه ليس منهم ولا من نسلهم، بل إنه من نسل إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ!

أما يهود اليوم فإنهم لا ينتظرون نبيًّا يتبعونه، فقد يئسوا من ذلك، بل مسيحًا يخلِّصهم، زعموا! يقضي على خصومهم، ويحكم دولتهم المزعومة والعالم من مقر قيادته في بيت المقدس.

ويعتقدون كما في توراتهم أن الله - وبسبب ذنوبهم- بعثرهم في الأرض، لا يرجعون إلى أرض ميعادهم إلا بقيادة مخلِّصهم «الماشيح» الذي يعني الممسوح بالزيت، وتقول أساطيرهم: إنه من نسل الملك داود، يعيد مجد مملكة إسرائيل ويقيمهم بشريعة التوراة، بعد أن يجمع شملهم في فلسطين ويحكم العالم منها، ويبني هيكلهم الثالث مكان المسجد الأقصى!

الحفاظ على المكتسبات:

الحفاظ على المكتسبات والإنجازات التي حققها النبي ﷺ، وعمل لأجلها طوال سنيِّ عمره حتى مكَّنَه الله تطهير الجزيرة العربية من المشركين واليهود.

إنها وصيَّة نبوية جاءت بصيغة الأمر؛ لإكمال مشروع تفريغ جزيرة العرب وتطهيرها من المشركين، بقول النبي محمد ﷺ: «**أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**»(١).

---

(١) سبق تخريجه.

لقد كان طموح النبي ﷺ أن ينهي الوجود اليهودي في المنطقة بأسرها إن مدَّ الله به العمر، وهذا ما نقله عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا**» [١]، وفي رواية عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَئِنْ عِشْتُ لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَتْرُكَ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا**» أي: إن بقيت حيًّا [٢].

وهذا الأدلة المتضافرة الصحيحة الصريحة ظاهرة على وُجُوْبِ إخْرَاجِ المشْرِكِيْنَ ومن غير استثناء مِنْ جَزِيْرَةِ العَرَبِ، وَعَدَمِ إبقاءِ دِيْن غيْر الإسْلام.

كل هذا حتى لا يختلط أولياء الله بأعدائه، وتبقى جزيرة العرب نقيَّة بأهلها سالمة من الكفر والكافرين، وحتى لا تتعرض لعقوبات الله إذا ما كثر فيها الخبث، ولتكون دارًا خالصة للإسلام وأهله، عامرة بالإيمان، كتلة صلبة لا اختراق فيها ولا انسلال إليها من أهل الباطل، متينة بقوة إيمان أهلها، منشغلين بأسباب الإيمان، لا بشبهات أهل الكفر والطغيان.

التطبيقات المعاصرة للاستراتيجية النبوية:

بدايةً لا بد أن ندرك أن الثوابت والمتغيرات في المشروع اليهودي (الصهيوني) لم تتغير، وهي قائمة على العقيدة الاستعلائية: فكرة «شعب الله المختار»، والشعب المقدس و«أرض الميعاد»، وأنهم لا يزالون يستخدمون المال، والإعلام، والتحريض، والتآمر لتحقيق مصالحهم الدنيئة، وأنهم يهدفون بذلك إلى فرض الهيمنة على المنطقة وإضعاف

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، واللفظ لأحمد (٢١٩).

أي قوة إسلامية وغير إسلامية صاعدة، كما أصبح لهم داعمون دوليون أقوياء، وأنهم يسعون على الدوام لامتلاك الأسلحة المتطورة وأسلحة الدماء الشامل لتحقيق السيطرة والنفوذ الكامل، والتغلغل الاقتصادي، والهيمنة على الفضاء الإعلامي.

وانطلاقًا من فهم تلك الثوابت والمتغيرات، يمكن استلهام الاستراتيجية النبوية في التطبيقات المعاصرة وفق ما يلي:

❑ **الحكمة والسماحة:**

حيث اتَّسم تعامل النبي ﷺ مع اليهود في بداية الدولة الإسلامية بالسماحة والحكمة، حيث دعاهم إلى الإسلام بالحسنى، وضمن لهم حقوقهم الدينية والاقتصادية، كما فرض عليهم معاهدة تتيح التعايش السلمي والعادل مع المسلمين.

❑ **الحسم والثبات:**

حيث أنهى إجلاء اليهود من المدينة مرحلة الخيانة والتآمر الداخلي، وأرسى أسس أمن الدولة الإسلامية الحديثة، وفرض سيادة القانون والعدل بين أفراد المجتمع بوضوح، كما أظهرت المواجهات مع اليهود صرامة النبي ﷺ في حماية الجماعة المسلمة، وبيان أن التعايش يكون بالوفاء بالعهود والالتزامات لا بالخيانات والمؤامرات، وأي خيانة تلاقي ردًّا صارمًا وفق الشريعة والقانون الإلهي.

❑ **استعادة المشروعية وفهم طبيعة الصراع:**

التأكيد على أن شأن وحرمة الجزيرة العربية أن لا تطأها أقدام اليهود هو ضرب من ضروب محاصرة المشروع اليهودي في فلسطين، وأن أي اختلال في هذه المعادلة هو تفريط وتمكين لليهود لمزيد من التمدد والانتشار والهيمنة التي ستكون سببًا في سيطرة

واسعة على أرض المسلمين.

كما أن الصراع مع المشروع الصهيوني الذي يمثل غطاء لليهودية والصليبية هو صراع عقائدي وجودي حضاري، وليس نزاعًا على أراضٍ فحسب، وهو امتداد ومن غير انفكاك للصراع التاريخي الذي عانى منه أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

❑ **تبني رؤية استراتيجية موحدة:**

ضرورة وضع خطة إسلامية شاملة تعمل على محاصرة المشروع اليهودي بوعي على مستوى القيادة السياسية والوعي الجمعي، تعمل بتناسق وتناغم مدروس بأدوات وأساليب عصرية، بعيدًا عن السردية التقليدية التي لا تحرك ساكنًا في نفوس الأجيال المعاصرة، ولا تثير فيهم الحماسة وروح العزة بالمشروع الإسلامي.

❑ **استثمار اللحظات التاريخية:**

الأمة اليوم أمام لحظة تاريخية يمكن فيها كسر هيبة المشروع الصهيوني، كما هي مشاهد العزة في معركة طوفان الأقصى التي لا تقلُّ شأنًا في حجم التضحيات والفدائية عن تضحيات الجيل الأول من الصحابة والتابعين والفاتحين من بعدهم، والتي قَلَّ نظيرها في هذا العالم، والتي تحتِّم على أولياء أمور الأمة وعقلائها استثمار ذلك لتحقيق تحول استراتيجي نوعي وتاريخي، يعمل على قلب المعادلة لصالح الأمة المسلمة.

❑ **ربط الجهاد بالعمل الحضاري:**

المواجهة ليست عسكرية فقط، بل هي مواجهة حضارية تشمل بناء الإنسان، والعلم، والاقتصاد، والقيم؛ لاستعادة الدور الحضاري للأمة، وبه يتم إعادة صياغة عقول أبناء هذا الجيل الذي وقعت عليه أكبر عملية تضليل وتغييب وتهميش، واكتفى بالتبعية المطلقة

للغرب الكافر، حتى إذا دخلوا جحر ضبٍّ دخلوه.

ويتمثل ذلك في تفنيد الرواية الصهيونية إعلاميًّا وأكاديميًّا، والعمل على كشف جرائم الاحتلال وانتهاكاته المستمرة، إلى جانب تربية الأجيال على عقيدة الولاء والبراء وعدم التطبيع الذي أعطى وملك وأباح لدولة الكيان اليهودي كل شيء مقابل لا شيء!

❑ **بناء القوة الشاملة:**

وذلك من منطلق الموازنة، من خلال العمل على تحقيق الاكتفاء الاقتصادي والتكنولوجي و«سوق المدينة» أنموذج نبوي مبكر لصناعة الوعي الاقتصادي الحر؛ حتى ينفك تدريجيًّا عن التبعية لغير المسلمين؛ لتتحول الأمة بعد ذلك إلى مرحلة المقاطعة والاستغناء الكلي- إن أمكن- عن اقتصاد العدو بكل جوانبه، وبذلك هو الطريق المؤدي الى القوة العسكرية الرادعة، وتوحيد الصف الإسلامي وإقامة التكتلات الإقليمية الفاعلة.

❑ **المرونة في استخدام الأدوات:**

وذلك باستخدام جميع الأدوات الشرعية المتاحة، من قبيل المقاومة المشروعة بوصفها أداة عسكرية رادعة، إلى جانب المقاطعة الاقتصادية، والعمل الدبلوماسي والقانوني من أجل مقاضاة الاحتلال في المحافل الدولية على جرائمه المتتالية، والحرص على كسب الرأي العام العالمي من خلال أساليب الدعوة والإعلام المختلفة.

وذلك من خلال توثيق جرائم الحرب والإبادة بشكل مهني، يفضح ويعري المزاعم الصهيونية المتذرعة بالمظلومية والعدل والديموقراطية المزعومة، واستخدام المنصات الدولية لعرض قضية المسلمين العادلة بشفافية، مع التركيز على إبراز نموذج المقاومة الأخلاقية في مواجهة عنف المحتل وخسة أخلاقه.

❑ **التدرج والواقعية:**

وهذا من فقه الأولويات، وبموجبه تتم إدارة الصراع كمعركة وجود وليست معركة حدود، مع ضرورة استثمار أي مكاسب مرحلية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، والعمل على تفكيك المشروع الصهيوني تدريجيًّا عبر إضعافه اقتصاديًّا وديموغرافيًّا وأخلاقيًّا.

❑ **التوظيف لصالح المشروع الإسلامي:**

وذلك من خلال تحويل موارد المقاطعة لصالح الاقتصادات الإسلامية، وتوظيف الطاقات الشبابية في الابتكار وبناء الذات، مع الحرص على استثمار المعرفة في تطوير أدوات المواجهة.

❑ **توحيد الخطاب والموقف الإسلامي:**

فعلى مستوى الأمة لا بد من إنشاء «مرصد إعلامي موحد» مهمته تفنيد الرواية الصهيونية ونشر الحقائق بلغات متعددة، والعمل على اعتماد استراتيجية دبلوماسية موحدة في المحافل الدولية لعزل الكيان الصهيوني قانونيًّا وأخلاقيًّا.

❑ **تعزيز المقاطعة الشاملة:**

ذلك من خلال تحويل المقاطعة من مبادرة شعبية إلى سياسة دولة، عبر قوانين تلزم بعدم التعامل مع الشركات الداعمة للاحتلال، والحرص على دعم البديل المحلي والإسلامي في جميع المجالات (اقتصاديًّا، ثقافيًّا، تقنيًّا).

❑ **بناء التحالفات الاستراتيجية:**

وذلك من خلال البحث عن حلفاء جدد في العالم، وذلك من شأنه أن يسهم في كسر الاحتكار الغربي الداعم للصهيونية، إلى جانب توثيق العلاقة مع المجتمعات المدنية والجاليات المسلمة في الغرب لتكون لوبيات ضاغطة.

❑ **التربية الإيمانية والوعي التاريخي:**

وذلك من خلال غرس عقيدة الولاء والبراء في النشء، وربطهم بالإسلام بوصفها قضية الأمة المركزية، وتشجيعهم على دراسة السيرة النبوية، وتاريخ الصراع مع اليهود؛ لفهم المنهج النبوي في المواجهة وتعزيز مشاريع الإحاطة المعرفية بالشأن اليهودي بمسافاته وسياقاته المتعددة.

❑ **التربية الإيمانية والنفسية:**

فهما الأساس المتين لتنفيذ الاستراتيجية النبوية، والأساس الذي بنى عليه رسول الله ﷺ جيل الصحابة رضي الله عنهم الذي حمل راية الإسلام، وواجه أعتى المشاريع العدائية، وفي مواجهة المشروع اليهودي المعاصر لا بد من استعادة هذا الأساس.

وذلك من خلال تقوية الصلة بالله وحده، وتربية القلوب على الإيمان بالله والتوكل عليه، وغرس اليقين بأن النصر من عند الله تعالى، وأن الأسباب لا تُعطي النتائج بذاتها، بل بقدرة الله تعالى ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

❑ **رفض الدونية والهزيمة النفسية:**

وذلك من خلال غرس الثقة في الأمة وفي تاريخها وحضارتها، واليقين بأن التخلف الحالي هو حالة عابرة وليس قدَرًا محتومًا، مع الحرص على مواجهة وساوس «التفوق اليهودي» التي يروجها الإعلام المغرض، والإثبات بالأرقام والحقائق أنهم مجرد عصابات إرهابية تدعمها قوى استعمارية، وليسوا «جيشًا لا يُقهَر».

❑ **العناية بالمنهاج والتربية على الإرادة والعزيمة:**

وذلك من خلال إدخال مادة «فهم طبيعة الصراع مع المشروع الصهيوني» في المناهج

الدراسية، بأسلوب يناسب كل مرحلة عمرية، واستلهام تلك المعاني من صفحات السيرة النبوية المشرَّفة.

وذلك من خلال غرس روح المبادرة والتفكير الإبداعي لمواجهة المشروع الصهيوني، وعدم انتظار الحلول من الآخرين، وتنمية القدرة على الصمود أمام الضغوط الاقتصادية والنفسية والإعلامية.

❑ **التربية على المسؤولية والالتزام والأخوة:**

من خلال غرس مفهوم «النصرة» كفرض عين على كل مسلم بقدر استطاعته، سواء بالدعاء، أو المال، أو الكلمة، أو السلاح، وبناء الوعي الجماعي بأن المعركة مصيرية، وأن الهزيمة فيها تعني ذبول الأمة كلها، والنصر يعني نهضتها.

وذلك تجسيدًا لمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وجعل قضية فلسطين قضية كل مسلم، بغض النظر عن جنسيته أو مذهبه، وكسر الحواجز المصطنعة (القومية، الطائفية) التي تفرق الأمة وتصرفها عن عدوها الحقيقي.

وذلك من خلال التمييز بين كره عدوك والعدل معه إذا كان تحت سلطانك، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، وتجنب الردود العاطفية غير المحسوبة التي تُستخدم لإسقاط الشرعية على المقاومة.

❑ **تربية الأمة على المناعة الفكرية:**

وذلك من خلال بناء جيل مؤمن بعقيدته، لا يغتر ببريق الدنيا أو المال اليهودي، ويستعيذ بالله من فتنتهم، ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ [آل عمران:٩٩].

❑ **تجديد الخطاب الديني:**

وهذا على مستوى العلماء والمفكرين (القطاع النخبوي)، وذلك من خلال بلورة فقه مقاصدي للقضية الفلسطينية يركز على مفاهيم الجهاد، والنصرة، والصمود، والكرامة، والعمل على إنتاج محتوى فكري رصين يفضح المشروع الصهيوني عقائديًّا وتاريخيًّا ويفنِّد مزاعمه وشبهاته.

❑ **اليقظة والحنكة السياسية:**

في قراءة العدو وفهم طبيعته، والحكمة في اختيار الوقت والأداة المناسبة للرد، مع الحسم في مواجهة الخطر الوجودي لليهود وأعوانهم من المنافقين والمرجفين.

❑ **المرونة والتدرج:**

في إدارة الأزمة وتحويل التحديات إلى فرص، ولا شك أن الأمة اليوم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما النصر: وهو مشروع يستلهم الاستراتيجية النبوية، ويقوم على التوحيد، وبناء القوة، واستخدام جميع الأدوات المشروعة، لكسب الشرعية العالمية، وهذا المشروع يقوده أصحاب الإرادة والعزيمة، أو الهزيمة: من خلال التطبيع والتبعية، والتخلي عن الثوابت، والقبول بالهيمنة الصهيونية، وإهمال الدين والتاريخ!

ولا شك أن الاستراتيجية النبوية تثبت أن النصر ليس حلمًا أو مستحيلًا؛ بل هو نتيجة حتمية لالتزام بمنهج الله تعالى، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

❑ **الحسم وامتلاك المبادرة في الرد والوقاية:**

عندما يصل الأمر إلى مستوى الخطر الوجودي، تكون المواجهة حاسمة وشاملة.

فقد تحرك النبي ﷺ مبكرًا لاكتشاف المؤامرات ولم ينتظر حتى يكتمل خطرها،

ولهذا أمر بالاستئصال أو الجلاء أو اغتيال العناصر المحرضة فور كشف التآمر للحفاظ على الدولة.

وفي هذا حفظ لعزة المسلمين على الكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، فبناء الدولة القوية هو الأساس.

❑ **رفض التحالف مع العدو:**

شددت المعاهدات بين النبي ﷺ على منع اليهود من دعم قريش أو أي جهة معادية للإسلام، وأصبح ذلك شرطًا أساسيًّا، وصولًا إلى اعتبار أي تعاون مع العدو بمثابة نقض للمعاهدة، وفي المقابل يشدد التشريع الإسلامي على منع الغدر والخيانة حتى في حال تغير الظروف، ولا يبرر تغير المصلحة نقض العهد إلا بنقض الطرف الآخر فعليًّا.

كما فرض النبي ﷺ شرطًا ألا يخرج أحد من اليهود لأي نشاط عسكري أو سفر إلا بإذن صريح منه؛ منعًا لاستغلال هذا في إشعال الفتن أو التآمر خلال الغزوات.

❑ **المحاسبة والمراجعة المستمرة:**

عندما نقضت بعض جماعات اليهود تلك الشروط الحربية، تغيرت شروط المعاملة معهم جذريًّا، فإما الإجلاء كما حدث في بني النضير وبني قينقاع، أو التحكيم العسكري كما في بني قريظة، وكانت المعاهدات واضحة في تقييد أفعال اليهود زمن الحرب، وضبط مسألة الوفاء والولاء، ومنع أي تهديد من الداخل، وفور وقوع الخيانة كانت تحدث المراجعة الحازمة للشروط وتطبيق الرد العقابي على الجماعة المخالفة.

❑ **قوة الردع والأمن الجماعي:**

تحولت بنود المعاهدات عند توقُّع الخطر وتكرار النقض إلى رسالة واضحة بأن حفظ الأمن العام والمصلحة الجماعية يعلو على المصلحة الفردية أو الاتفاق السابق، إذا

اعتدى الطرف الآخر، وكان الوفاء بالعهود هو الأصل، والنقض مبررًا للعقوبة.

وإذا وقعت خيانة أو تهديد وجودي يجوز تعديل البنود للحفاظ على الأمن العام والمجتمع، كما في معاهداته مع اليهود حين تغيرت الشروط، وأصبحت أكثر صرامة عند وقوع الخيانة.

❑ **قيمة السلم فوق مصلحة الحرب:**

حيث كان الأصل في سياسة النبي ﷺ مع المخالفين البحث عن التعايش ودوام الأمن، لا الاستعداء الدائم.

كما حرص على توثيق المعاهدات.

والنص عليها بدقة، حتى إذا دعت الحاجة إلى تعديل أو نقض يكون ذلك علنيًّا ومبررًا، وله أصل شرعي وقانوني، وتبيان أن النقض المشروع للمعاهدة لا يُبرر الإيذاء أو الإضرار بالأبرياء.

❑ **الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي أنموذج رباني متكامل:**

لقد قدمت الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي أنموذجًا ربانيًّا متكاملًا، يجمع بين الحكمة والقوة، والمرونة والحسم، والواقعية والمبادئ، وقد تعامل النبي ﷺ مع المشروع بصفته ظاهرة سياسية عقائدية وليس مجرد دين محرَّف، واستخدم ضدها جميع الأدوات المتاحة.

وإن الأمة اليوم مدعوة لا لتقليد النموذج النبوي حرفيًّا؛ بل لفهم حكمته واستلهام مبادئه في مواجهة امتداد ذلك المشروع نفسه، النصر محقق بوعد الله تعالى لمن التزم بشرعه ومنهجه، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ولا شك أن هذا الواقع التاريخي يقدم أنموذجًا استراتيجيًّا متكاملًا يمكن الاستفادة منه في فهم

كيفية مواجهة المشروع الصهيوني المعاصر، الذي يمثل امتدادًا لنفس المنهجية القائمة على الخيانة والاستعلاء والعدوان على مرِّ التاريخ.

من النظرية إلى التطبيق:

لقد قدم هذا البحث تحليلًا متكاملًا للاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي، من جذوره التاريخية إلى تطبيقاته المعاصرة، وها نحن نختمه بالتركيز على العامل البشري كحلقة الوصل بين النظرية والتطبيق؛ فلا توجد استراتيجية – مهما كانت عبقريتها– يمكن لها أن تنجح دون تربية وتنشئة الإنسان المؤمن الذي يفهمها، ويؤمن بها، ويلتزم بتنفيذها بكل إخلاص وصبر وإتقان.

وإن الأمة التي تريد النصر، عليها أن تستلهم الحكمة من نبيها ﷺ، والقوة من إيمانها، والإصرار من تاريخها، وعليها أن تبدأ ببناء الإنسان، الذي هو رأس المال الحقيقي، وأعظم سلاح، وأهم استراتيجية، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

❑ تسلسل تاريخي ونظرة استراتيجية:

إنها دراسة موجزة متسلسلة ودقيقة عن واقع اليهود في الدولة الإسلامية عبر التاريخ خلال العهد النبوي الأول، من حيث التكوين السكاني والقبلي في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، ودراسة الوضع السياسي للعهد النبوي بعد الهجرة، لبيان حرص النبي ﷺ على إشراك جميع الأطراف في وثيقة المدينة (الميثاق) وحفظ حقوقهم الدينية والإنسانية،

والوفاء بالعقود والمواثيق كشرط أساسي لوحدة المدينة، ثم كان بيان المراحل الأساسية في التعامل مع اليهود، ولا سيما بنو قينقاع والنضير وبنو قريظة.

والإجراءات النبوية الحكيمة، والدروس المستفادة، مع بيان الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لتلك الاستراتيجية المباركة، ذلك أن الواقع اليهودي في المدينة كان متعدد الأبعاد: عقدي، سياسي، اقتصادي، واجتماعي، وإزاءها طبق النبي ﷺ استراتيجية متكاملة؛ قانونية وعقدية قائمة على الميثاق والوفاء بالعقود، وسياسية من خلال التحالفات، وإدارة الخيانة بحسن التعامل معها بالحسم للقضاء عليها، واقتصادية من خلال السوق البديل والتحرر المالي، وعسكرية من خلال الرد على الخيانة، وحماية الدولة بالإعداد والفعل العسكري الحازم.

ولا شك أن مثل هذه التجربة تعدُّ أنموذجًا استراتيجيًّا متكاملًا لفهم كيفية مواجهة المشاريع الداخلية والخارجية، دون انتهاك الحقوق الأساسية للمجتمع.

❑ **والخلاصة من ذلك كله:**

أن الاستراتيجية النبوية تجاه «المشروع اليهودي» في الجزيرة العربية كانت متعدِّدة الأبعاد: أساس دعوي وسلوكي، مع بناء عقدٍ مدني وسياسي، واستخدام القوة في إطار دفاعي صارم عند التآمر العسكري، ومن المهم قراءة الوقائع التاريخية بعينٍ تأصيلية ونقدية معًا.

فلم تكن تلك الاستراتيجية النبوية الفريدة مجرد ردود أفعال على أحداث طارئة، بل مشروع تأسيس للأمة وملهم لها، يقوم على ترسيخ الهوية، وبناء القوة الذاتية، ومواجهة التهديد الخارجي والداخلي بوعي وحكمة وحزم، وهي مرجع للأمة في صراعها الراهن

مع المشروع الصهيوني العالمي، الذي لا يختلف في جوهره عن المشروع اليهودي زمن النبي ﷺ وإن تنوعت وسائله.

مسيرة مظلمة من العداء والمكر اليهودي:

لقد بدأ التحذير الرباني للنبي ﷺ يوم أن كان في مكة وانتهى بموته، وقد رسم الله للأمة المسلمة منهج التعامل الحذر من اليهود، كانت حياته حافلة بالأحداث والتحديات المستمرة ضد اليهود، حتى كان مقتله شهيدًا على أيديهم.

وهكذا نلاحظ من خلال هذه المسيرة كيف أن الله تعالى أنزل على نبيه ﷺ قدرًا تفصيليًّا كافيًا للتعريف باليهود وخطرهم، حتى لم يترك القرآن الكريم والوحي الأمين شاردة ولا واردة إلا وبينها؛ للحذر منهم، لأنهم شر الخليقة وسبب في كثير من فساد الأرض، والتحذير منهم واجب وفطنة لا يعقلها إلا ذوو الألباب.

الخاتمة

وهكذا خضنا معكم جولة سريعة مع الأحداث التاريخية النبوية مع اليهود في المرحلتين المكية والمدنية، وأدركنا بالأدلة القاطعة كيف أن اليهود واجهوا المشروع النبوي منذ بدايته بالعداء المطلق والخيانة، وخاضوا حربًا بالوكالة ضده في مكة؛ محاولين استئصال شأفته ودعوته.

وكانت هذه المحطات فيها لنا من العبر الشيء الكثير، ورأينا كيف أن الله سلَّمه وصحبه في كل محنة كانوا يظنون أنها مهلكتهم؛ فمعيَّة الله ورعايته كانت معهم تحوطهم وتحفظهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

لقد كانت سيرته ومسيرته ﷺ -وما تزال والى قيام الساعة- **درسًا** عظيمًا، وعظة وعبرة للسائرين على طريق الجهاد والتحرير والعمل لهذا الدين في مواجهة هؤلاء المجرمين من اليهود والمنافقين.

كما ترك النبي ﷺ للسلم الداخلي والعلاقة المنظمة مع الأقليات في المدينة أنموذجًا متميزًا في الإدارة السياسية والاجتماعية والدينية، توارثته الأمة الإسلامية عبر العصور.

وإن قراءة استراتيجية النبي ﷺ في التعامل مع اليهود لتكشف عن عبقرية قيادية تمزج بين الرحمة والعدل والحزم، لقد قدَّم أنموذجًا واقعيًّا في إدارة التنوع داخل المجتمع، وأثبت أن بناء الدولة لا يقوم على الشعارات، بل على التوازن بين المبادئ والثبات على

الحقوق، والدروس المستفادة من هذه التجربة النبوية تظل صالحة اليوم لكل مجتمع يسعى إلى حماية وحدته الداخلية، دون أن يفقد قيم العدل والتعايش.

لقد كانت علاقة اليهود بالدولة الإسلامية الناشئة خلال العهد النبوي مبنية على التعايش والحقوق المتبادلة في البداية، لكنها اهتزت مع نقضهم للعهود وخيانتهم، ما أدى إلى مواجهة حاسمة، ومن شأن هذه التجربة أن تقدم لنا دروسًا دقيقة في بناء الدولة، من حيث إدارة الاختلاف، والحفاظ على الأمن والاستقرار عبر العدل، والتدرج في التعامل، والحسم عند الضرورة.

وفي المقابل كانت تلك الحقبة من العهد النبوي حافلة بالأحداث والمواجهات بينه ﷺ وبين يهود، يستلهم منها الداعي والمربي والسياسي حقيقة يهود وطريقة التعامل معهم؛ وعلى الرغم من ذلك فإن كثيرًا من جهوده واتفاقياته وموادعته ﷺ معهم لم تُجدِ نفعًا معهم؛ لأنها هي الحقيقة التي بيَّنها المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكشف ما في ضمائرهم بقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

إن قومنا الذين أفنوا أعمارهم وهم يخوضون صراعات سياسية واهمة واهية إنما يبحثون عن سراب، وقد جهلوا حقيقة اليهود التي تعرض لها القرآن في مواطن ومناسبات عدة، نقول لهؤلاء- وللأسف-: إنهم يخوضون معركة فقدوا فيها سلاح العقيدة والإيمان والممانعة المعرفية.

نقول وبإلحاح: إن لم يَعُدْ للتحذير من اليهود وشرِّهم في مناهجنا ومنابرنا وقوانيننا مكان، فستبقى الأمة مستباحة مخترقة.

إن الحفاظ على جزيرة العرب من رجوع اليهود إليها بعد أن طهَّرها النبي ﷺ وبذَل

المُهَج لتطهيرها من هذا الورم السرطاني الذي كاد أن يفتك بالجزيرة العربية برمتها أمر مهم، ولولا ذلك النهج النبوي لأصبحت وكرًا للفساد اليهودي، وكان هيكلهم المزعوم مكان الكعبة- لا قدر الله.

فالجزيرة العربية أمانة وعهدة عهد بها النبي ﷺ إلينا، لنحافظ عليها من انسلال اليهود إليها وفسادهم فيها، وعلامة التفريط بها دلالة على الخلل في الولاء والبراء.

سائلين المولى عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ بلاد المسلمين من شرور اليهود ومن عاونهم وناصرهم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ)، إشراف: د عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. عدد الأجزاء: ٥٠.

٥- السنن الكبرى، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١١.

٦- الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٩.

٧- فتح الباري بشرح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ]، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ.

٨- شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، وصوَّرتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ (في ١٢ مجلدًا).

١٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٧.

١١- الوافي في شرح الأحاديث الأربعين الفلسطينية، تأليف: جهاد جميل العايش أل عملة، الناشر هيئة الأرض المقدسة، الطبعة الثانية:١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤ م.

١٢- الشافي في شرح الأحاديث الأربعين في ذم اليهود، تأليف: جهاد جميل العايش آل عملة، الناشر: هيئة الأرض المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٤٧ هـ -٢٠٢٦م.

١٣- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا (ت ١٣٨٩ هـ)- إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ)- عبد الحفيظ شلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٤- المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: د مارسدن جونس، الناشر: جامعة أكسفورد - لندن، ١٩٦٦ م، عدد الأجزاء: ٣.

١٥- تاريخ الخميس، للديار بكري الكتاب: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، المؤلف: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت ٩٦٦ هـ)، الناشر: المطبعة الوهبية، مصر - ١٢٨٣ هـ عدد الأجزاء: ٢.

١٦- السيرة النبوية، تأليف: أحمد بن زيني دحلان الناشر: دار القلم العربي - سوريا- حلب.

١٧- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٧.

١٨- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، تأليف: إسرائيل ولفنسون، تقديم د: طه حسين، الناشر: مكتبة الفنون والآداب، مصر - القاهرة ط ١، تاريخ: ٢٠١٤م.

١٩- التنبيه والإشراف، المؤلف: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، الناشر: دار الصاوي - القاهرة.

٢٠- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، المؤلف: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (ت ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، عدد الأجزاء: ٢.

المحتويات

مقدمة ٥

طبيعة المشروع اليهودي عبر التاريخ ٧

الأسس العقدية والفكرية للاستراتيجية النبوية..... ٧

الاستراتيجية بين المصطلح والمفهوم ٨

الإطار المفاهيمي ٨

المشروع اليهودي..... ٩

منهج متكامل..... ٩

١- ترسيخ العقيدة والإيمان ٩

٢- القدوة العملية..... ٩

٣- التكليف التدريجي..... ١٠

٤- تحفيز المبادرة وتحمل المسؤولية ١٠

٥- التخطيط والتوجيه الحكيم ١٠

٦- التربية والاهتمام بالبناء الإيماني والنفسي..... ١٠

٧- الشورى وتحمل المسؤولية ١٠

التاريخ لإسلامي والمشروع اليهودي ١٢

نظرات في واقع اليهود في مكة والمدينة ١٣

الخلفية التاريخية ١٣
أولًا: وضع اليهود في الحقبة المكية ١٣
كفار قريش يستعينون باليهود ضد دعوة محمد ﷺ ١٦
القرآن الكريم المكي يحدث النبيَّ ﷺ عن تاريخ بني إسرائيل ١٧
تعريف بهم وتاريخهم ١٧
التفضيل الرباني والمنة على بني إسرائيل ١٨
التحذير والإنذار المبكر للرسول وأتباعه ١٨
الإخبار عن أخطر فساد سيقع منهم ١٨
التنبؤ القرآني المكي بمصير اليهود ١٨
مدخل ٢٠
سورة الفاتحة تحذر من اليهود ٢٠
سورة الإسراء.. تحذير من فساد يهودي مستقبلي كبير ٢٣
التذكير بنعم الله على بني إسرائيل ٢٤
من وسائل اليهود في الحرب ضد ﷺ في مكة ٢٦
النفوذ الاقتصادي اليهودي في مكة ٢٦
التحريض الاعلامي ٢٧
اتفاق المصالح ٢٧
التحالفات الشيطانية ٢٩
البعد الاستطلاعي ٣٠
مواجهة شبهات اليهود ٣٠
ثانيًا: وضع اليهود في الحقبة المدنية ٣٢

اليهود وإذكاء الصراعات ٣٤
الوجود الإسلامي في المدينة المنورة ٣٦
بداية التعامل بالسماحة والتأليف ٣٦
تدوين الصحيفة (١ هـ) ٣٧
الشروط الأساسية في معاهدة النبي مع اليهود ٤٠
١- الإنفاق المشترك في الدفاع ٤٠
٢- الولاء والموالاة المتبادلة ٤٠
٣- الحقوق الدينية والحريات ٤٠
٤- منع التحالف مع الأعداء ٤٠
٥- عدم التحرُّك العسكري خارج المدينة إلا بإذن ٤١
٦- النصر والمساعدة المتبادلة ٤١
الإجراءات النبوية مع اليهود في العهد المدني ٤٢
١- الحرية الدينية ٤٢
٢- إقرار النبي ﷺ بعض ما عند اليهود في شريعتهم ٤٤
ومما جاء من موافقتهم في بعض الأحكام ٤٤
٣- موافقة اليهود في قبلتهم نحو بيت المقدس بادئ الأمر ٤٥
٤- الحرص على إقامة العدل ٤٦
٥- البعد الأمني في سلوك المسلمين ٤٧
٦- سرعة القبض على المجرمين ٤٨
٧- دور الاستخبارات العسكرية في غزوة الأحزاب ٤٩
٨- الرسول ﷺ يراقب كلمات اليهود ٥٠

٩- النبي ﷺ يأخذ الحيطة والحذر من أي طعام يُقَدَّم له ٥٠
١٠- التحذير النبوي من أخبار اليهود ٥١
١١- الرسول ﷺ يأمر بتعلم لغة يهود؛ حتى يأمن مكرهم ٥٢
١٢- التحصين المجتمعي ضد الاختراقات اليهودية ٥٣
١٢- أولوية إكرام المسلم على اليهودي ٥٤
١٣- الحملات الإعلامية المضادة ٥٥
المراحل التي مرَّ بها اليهود في مجتمع المدينة ٥٨
المرحلة الأولى: التعايش تحت دستور الدولة (١ هـ / ٦٢٢ م) ٥٨
المرحلة الثانية: كشف الخيانة وبدء المواجهة (٢-٤ هـ) ٥٨
وقد تطورت الأحداث السياسية كما يلي ٥٩
المرحلة الثالثة: الحسم العسكري ضد الخيانة العظمى (٥ هـ) ٦٠
المرحلة الرابعة: ما بعد الحسم - التوظيف الاقتصادي والسياسي (٥-١١ هـ) ٦١
المرحلة الخامسة: تأمين الجبهة الداخلية والخارجية (حتى ١١ هـ) ٦٢
عداء مستحكم ٦٢
التسلسل الاستراتيجي في مواجهة المشروع اليهودي ٦٣
العدالة والوفاق ٦٣
التعايش والنهج السلمي أولًا ٦٣
الرد الحازم بعد الخيانة ٦٤
تصعيد المواجهة العسكرية ٦٤
مراحل العداء اليهودي وفق التسلسل الزمني والمنهج النبوي في التصدي له ٦٤
غزوة بدر الكبرى (٢ هـ) ٦٤

اغتيال أبي عَفَك اليهودي..... ٦٥
غزوة بني قينقاع (٢هـ)..... ٦٥
قتل كعب بن الأشرف (٣ هـ)..... ٦٧
غزوة أحد (٣هـ)..... ٦٨
غزوة بني النضير(٤هـ)..... ٧٠
غزوة الخندق أو الأحزاب (٥هـ)..... ٧٣
غزوة بني قريظة عام (٥ هـ)..... ٧٧
صلح الحديبية سنة (٦ هـ)..... ٨٢
سحر النبي ﷺ..... ٨٣
اغتيال أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، أواخر عام (٤ هـ)..... ٨٥
مقتل أسير بن رازم..... ٨٦
غزوة خيبر(٧ هـ)..... ٨٧
حصون خيبر تنقسم إلى شطرين..... ٩١
حصن ناعم..... ٩٢
حصن الصعب..... ٩٢
قلعة أبيّ..... ٩٢
حصن النزار..... ٩٢
محاولة قتل النبي ﷺ بالسُّم..... ٩٦
فدك وتيماء ووادي القرى ٧هـ..... ٩٩
(فدك ٧هـ)..... ٩٩
(وادي القرى ٧هـ)..... ١٠٠
(تيماء٧هـ)..... ١٠٠

مواجهة النفوذ الاقتصادي ١٠١

تحريم الربا..... ١٠٢

مشاركة اليهود على نصف الثمار..... ١٠٣

إيجاد البديل (سوق المدينة)..... ١٠٣

فتح مكة (٨ هـ)..... ١٠٤

غزوة تبوك (٩ هـ)..... ١٠٥

رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ١٠٧

النبي الشهيد على يد اليهود ١٠٨

من ثمرات الاستراتيجية النبوية للتعامل مع اليهود ١١٠

لماذا لم يكن لليهود دولة زمن النبي ﷺ؟..... ١١٢

الحفاظ على المكتسبات..... ١١٣

التطبيقات المعاصرة للاستراتيجية النبوية..... ١١٤

الحكمة والسماحة ١١٥

الحسم والثبات ١١٥

استعادة المشروعية وفهم طبيعة الصراع..... ١١٥

تبني رؤية استراتيجية موحدة ١١٦

استثمار اللحظات التاريخية..... ١١٦

ربط الجهاد بالعمل الحضاري..... ١١٦

بناء القوة الشاملة..... ١١٧

المرونة في استخدام الأدوات..... ١١٧

التدرج والواقعية..... ١١٧

التوظيف لصالح المشروع الإسلامي ١١٨
توحيد الخطاب والموقف الإسلامي ١١٨
تعزيز المقاطعة الشاملة ١١٨
بناء التحالفات الاستراتيجية ١١٨
التربية الإيمانية والوعي التاريخي ١١٨
التربية الإيمانية والنفسية ١١٩
رفض الدونية والهزيمة النفسية ١١٩
العناية بالمنهاج والتربية على الإرادة والعزيمة ١١٩
التربية على المسؤولية والالتزام والأخوة ١٢٠
تربية الأمة على المناعة الفكرية ١٢٠
تجديد الخطاب الديني ١٢٠
اليقظة والحنكة السياسية ١٢١
المرونة والتدرج ١٢١
الحسم وامتلاك المبادرة في الرد والوقاية ١٢١
رفض التحالف مع العدو ١٢٢
ضبط التحركات العسكرية ١٢٢
المحاسبة والمراجعة المستمرة ١٢٢
قوة الردع والأمن الجماعي ١٢٢
التكيُّف حسب المتغيرات الواقعية ١٢٣
قيمة السلم فوق مصلحة الحرب ١٢٣
أهمية توثيق المعاهدات ١٢٣

القدوة النبوية في حماية حقوق الرسل ١٢٣
حماية الدولة والمجتمع..... ١٢٣
الاستراتيجية النبوية في مواجهة المشروع اليهودي أنموذج رباني متكامل..... ١٢٣
من النظرية إلى التطبيق..... ١٢٤
تسلسل تاريخي ونظرة استراتيجية..... ١٢٥
مسيرة مظلمة من العداء والمكر اليهودي ١٢٦
الخاتمة..... ١٢٧
المراجع ١٣٠
المحتويات..... ١٣٣

تم بحمد الله